وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة عباس لغرور -خنشلة-

- كلية الأداب واللغات

والأدب العربي - قسم اللغة

- التخصص: أدب قديم

الطبيعة معادلا موضوعيا في الشعر الأندلسي

ـ دراسة في نماذج مختارة ـ

بحث مقدم لقسم اللغة والأدب العربي لاستكمال مواد شهادة ماستر2

تقديم الطالبة:

نصيب ابتسام

إشراف:

غنية بوساحية

أعضاء لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
إيمان ملال	أستاذ محاضر-ب-	جامعة عباس لغرور	رئيسا
غنية بوساحية	أستاذ مساعد -أ-	جامعة عباس لغرور	مشرفا ومقررا
حكيمة املولي	أستاذ محاضر-ب-	جامعة عباس لغرور	مناقشا

العام الجامعي:2019/2018.

كلمة شكر

إلهي لا يطيب الليل إلا بشكرك. ولا يطيب النهار إلا بطاعتك

ولا تطيب اللحظات إلا بذكرك ولا تطيب الآخرة إلا بعفوك . ولا تطيب الجنة إلا برؤيتك إلى من بلغ الرسالة وأدى الأمانة ... ونصح الأمة... إلى النبي الرحمة والنور عليه "سيد محمد صلى الله عليه وسلم.

" إلى الذين حملوا قدس رسالة في الحياة.

وإلى الذين مهدوا لنا طريق العلم والمعرفة إلى جميع "أساتذتنا الكرام.

"إلى كل من ساهم في إرشاد ولو بكلمة بسيطة بكل شكر والاحترام والنقدي. ما نتوجه لشكر الجزيل إلى الأستاذة المشرفة "غنية بوساحية"

وإلى لجنة المناقشة على قبولها مناقشة هذا البحث.

نصيب ابتسام

مقدمة

مقدمة:

تميزت الأندلس بطبيعتها الأخاذة ونسيجها الاجتماعي المتنوع، وقد اكتسبت من خلال خصوصيتها الجغرافية والبيئة الاجتماعية سمات خاصة كونت الشخصية الأندلسية، ومن البديهي أن تكون الطبيعة الأندلسية موضوعا شعريا رئيسا في الأدب الأندلسي، وليس غريبا على الشعر الأندلسي أن يكون صدى للبيئة الطبيعية، ومرآة عاكسة لجمالها، لذلك تعد الطبيعة هي الملهم الأول والأكبر للشعراء الأندلسيين، فالشاعر الأندلسي لا يصور لنا ما يراه فحسب، وإنما يمزج ذلك بمشاعره الخاصة، في شكل رموز إبداعية بعيدا كل البعد عن التقرير والمباشرة، ويحلق بخياله في سماء الإبداع، فإن كان في موقف فرح فالطبيعة تدعو إلى الأنس، وإذا كان الشاعر في موقف حزن وألم استدعى الطبيعة لتبكي وتئن حزينة معه.

ومن هنا طغى وصف الطبيعة على جميع جوانب الشعر الأندلسي، فقد امتزجت في جميع أغراض شعرهم، فإذا وصف اتكأ الشاعر على الطبيعة وجمالها، وإذا تغزل أخذ من أوصافها، وإذا مدح جعل الطبيعة إطارا لمدحه، حتى لايكاد يخرج عن موضوعه إلى وصف الطبيعة.

كل هذا يبين لنا قدرة الشاعر الأندلسي على تحويل الطبيعة إلى معادل موضوعي، فهي تشاركه أفراحه وأحزانه وهمومه.

من هذا المنطلق جاءت أهمية اختياري لشعر الطبيعة في الأندلس كمعادل موضوعي، فقد استفزني التماهي الرائع بين الطبيعة الأندلسية وبين طبيعة شخصية الشعراء، فحاولت بذلك تسليط الضوء على صور هذا التماهي الذي ولد نظرية في النقد الأدبي تعرف بنظرية المعادل الموضوعي، من هنا تأسس موضوع هذا البحث بعنوان: **الطبيعة معادلا موضوعيا في الشعر الأندلسي.**

فكان الدافع الرئيسي وراء هذا الاختيار هو أسلوب شعراء الأندلس باعتبارهم فئة حساسة ومتذوقة لمعنى الجمال وقدرتها على مزج الواقع بالخيال الخصب، التي استخدمها المبدع لتصوير المجرد عن طريق المحسوس، إضافة إلى أن لهذا النوع من

التوسع الخصب في الشعر الأندلسي، ما يجعل منه مادة خصبة تستحق الدراسة والاهتمام، فضلا عن أن موضوع شعر الطبيعة في الأندلس درس كموضوع عام ولم يسبق له أن درس في إطار نظرية المعادل الموضوعي.

وتكمن أهمية هذا البحث في تقصي الجوانب المتعلقة بالمعادل الموضوعي، وإبراز أهم ملامح الحياة الأندلسية من خلال تجليات الطبيعة في الشعر كبديل عما يخفيه الشاعر من مشاعر وعواطف جياشة.

وهذا البحث كغيره من البحوث العلمية يطمح لتحقيق مجموعة من الأهداف، والتي من بينها سعيه إلى تسليط الضوء على الخبايا الموجودة في شعر الطبيعة الأندلسية، واكتشاف وتحليل المقطوعات الشعرية والتعرف على هيمنة العناصر الطبيعية في النفس الإنسانية.

وقد حاولت من خلال هذه الدراسة الإجابة على إشكالية كبرى تمثلت في: كيف استقطبت عناصر الطبيعة المعادل الموضوعي في الشعر الأندلسي ؟

وتتفرع من هذه الإشكالية مجموعة من التساؤلات:

* إلى أي مدى استطاعت الطبيعة الأندلسية أن تخدم النفس الشاعرية؟

* ما هي اللوحات الأكثر استغلالا للمعادل الموضوعي؟

* هل حقق المعادل الموضوعي رغبة الشاعر في فكرة عدم التقرير المباشر؟

وطبيعة البحث فرضت إتباع المنهج الموضوعاتي في تحليل مجموعة من النماذج الشعرية، باعتباره المنهج الأنسب لطريقة تنظيم عناصر الدراسة.

وللإجابة على هذه التساؤلات المطروحة اعتمدت خطة عرض كالآتي: مدخل، فصلين وخاتمة.

وقد تطرقت في المدخل المعنون بالبيئة الأندلسية وانعكاسها على الشعر إلى جغرافيا الأندلس واثر البيئة الأندلسية في الشعر.

وفي الفصل الأول: والمعنون بـ لمحة عن شعر الطبيعة في الأندلس والذي تضمن حديثا عن بواكير شعر الطبيعة الأندلسية. وقد تحدثنا في ذلك عن انتقال شعر الطبيعة عبر العصور وصولا إلى الشعر الأندلسي، ثم تفجر الطبيعة في لوحاته، وبعد ذلك تناولت أهم ما جاءت به نظرية المعادل الموضوعي.

أما الفصل الثاني: وهو فصل تطبيقي موسوم بتجليات المعادل الموضوعي في شعر الطبيعة الأندلسية والذي شمل حديثا عن الطبيعة الحية والصامتة، والتي أدرجت فيها عناصر الطبيعة من الروضيات والزهريات، المتنزهات، الثمريات والشجريات المائيات، الظواهر الكونية والحيوانات وكذلك الطبيعة المصنوعة أدرجت فيها البرك النوافير الدواليب البنيان وكذلك الزوارق، وفي الأخير أنهيت بحثي بخاتمة جمعت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها.

وقد ساعدتني في هذه الدراسة مجموعة من مصادر ومراجع نذكر أهمها: نفح الطيب للمقري التلمساني، الشعر الأندلسي لفوزي عيسى، القيم الجمالية آزاد محمد كريم، المنهج الموضوعي محمد عزام، جوانب من الأدب والنقد حسام الخطيب.

ولا يخلو أي بحث من صعوبات، ولعل أهمها أثناء إنجاز هذا البحث هي تعدد وجهات النظر للموضوع عند الباحثين واختلافها وتداخلها.

ولا يفوتنا في الأخير أن أتقدم بالشكر الجزيل إلى أساتذة كلية الآداب، والشكر موصل إلى الأستاذة المشرفة **غنية بوساحية** التي تكفلت بهذا العمل والتي أضاءت دربي وأمدتني بنصائح وتوجيهات قيّمة وإليها يرجع الفضل في إيصال العمل إلى الشكل الذي انتهى إليه.

مدخل:

البيئة الأندلسية وانعكاسها على الشعر

I- جغرافيا الأندلس

II- أثر البيئة الأندلسية في الشعر

1- البيئة المكانية الطبيعية

2- البيئة المكانية الصناعية

I. جغرافيا الأندلس:

تعد بلاد الأندلس من الناحية الجغرافية ذات موقع هام بامتياز بالنسبة لبقية البلدان وذلك جعلها مهوى أطماع كل الموجات البشرية عبر العصور، لاحتوائها على أبهى الأماكن من جزر وأنهار ومناخها المتباين الذي برز مدى اختلافها عن الأقاليم الأخرى، والذي استقطب الكثير من القلوب الشاعرية وذلك نداءا لمتطلباته وأغراضهم نظر لما وفرته هذه الطبيعية الفاتنة من تربة خصبة وعيون عذبة وهواء معتدل كل هذه الأوصاف جعلت الكثير من الأدباء والعلماء والكتاب يؤرخون بأنها جنة الله في أرض البشر فهي جنة ساحرة بكل الصفات.

" واعلم أن جزيرة الأندلس–أعادها الله للإسلام– مشتملة على وسط وشرق وغرب:

فالوسط فيها من القواعد الممصرة التي كل مدينة منها ممكلة مستقلة لها أعمال ضخام وأقطار متسعة: قرطبة، طليطلة، جيّان، غرناطة، المرية ومالقة".[1]

"فمن الشمال الغربي والمغرب يحدها المحيط الأطلسي الذي كان يعرف بحر الظلمات، أو البحر الأخضر والشرق وجنوب البحر الأبيض المتوسط الذي كان يعرف بالبحر الرومي ثم مزيج من مياه البحر والمحيط في الجنوب، حيث مضيق جبل طارق ملتقى البحر الأبيض المتوسط بالمحيط والفاصل بين إفريقيا وأوروبا والذي يبلغ في أضيق مواضيعه خمسة عشر كيلومترا".[2]

وقد روى الشيخ أحمد بن محمد بن موسى الرازي وقال: «بلد الأندلس هو آخر الإقليم الرابع إلى المغرب، وهو عند الحكماء بلد كريم البقعة، طيب التربة، خصب الجنان... وشكلها مثلث، وهي معتمدة على ثلاث أركان: الأول هو الموضع الذي فيه صم قادس المشهور بالأندلس، ومنه مخرج البحر المتوسط الشامي الآخذ بقبلي الأندلس، والركن الثاني هو بشرقي الأندلس بين مدينة نربونة، ومدينة برذيل مما بأيدي الفرنجة اليوم بإزاء جزرتي ميُورقة ومنورقة بمجاورة البحرين: البحر المحيط والبحر المتوسط...والركن الثالث

---

[1]– أحمد بن محمد المقري التلمساني، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، ج 1 ، **تحقيق** : إحسان عباس، دار صادر، بيروت، د.ط، 1968 ، ص165.

[2]– عمر إبراهيم توفيق، **الوافي في تاريخ الأدب العربي في الأندلس**، جامعة كركوك العراق،ط1، 2012، ص17.

منها هو ما بين الجوف والغرب من حيز جليقية، حيث الجبل الموفي غبلا البحر، وفيها الصم العالي المشبه بصم قادس وهو الصالع على بلد بريطانيا».[1]

وفي ضوء ما قال الشيخ أحمد يتضح أن الأندلس ومن حيث الإقليم والموقع الذي تحتله جعلها من أكثر المدن جمالا حيث وصفها بمحاسنها ومظاهرها الخلابة كطيب التربة وخصب الجنان، كذلك هو وضح التقسيم الأساسي لهذه المنطقة وذلك من حيث الأركان وأهم المدن العظيمة.

وفي ضوء ذلك نجد ابن خفاجة يقول:

إن اللجنـــــــــة بالأنـــــــــدلُسِ مجتَلـــى مـــرأى ورَيـــاَ نَفَـــسِ
فَســـناَ صُـــبْحَتَها مـــن شَـــنَب ودُجـــى ضُـــلمتها مـــن لَعَـــسِ
فـــإذا هبّـــتِ الـــريحُ صَـــباَ صِـحْتُ وأشـواقي إلـى الأنـدلسِ[2]

وإذا تحدثنا عن الأندلس نجد أن بلنسية من أشهر مدنها حيث أنها قد ألهمت الكثير من الشعراء واستقطبت الكثير من الأدباء والباحثين وفي ضوء ذلك:

"وبلنسية على بحيرة يصب فيها نهر يمر على شمالي بلنسية وهي من شرق الأندلس وبلنسية وهي من أحسن مكان وقد حفت بالأنهار والجنان فلا ترى إلا مياهها تتفرع ولا تسمع إلى أطيارا تسجع، ولها بحيرة حسنة وهي على القرب من بحر الزقاق، وحيث خرجت منها لا تلقى إلى منارة، وهي شرقي مرسية وغربي ساطبة وهي حصينة، قال ابن سعيد ويقال أن ضوء مدينة بلنسية يزيد على ضوء بلاد الأندلس وجوها صقيل أبدا لا يرى فيه ما يكدره أبداً".[3]

وقال الشرف أبو جعفر بن مسعدة الغرناطي:

هـي الفـردوس فـي الـدنيا جمـالا ســاكنها وكارهــا البعــوض".[4]

---

[1]- المقري التلمساني ، **نفح الطيب**، ص ص129-130-131.

[2]- المرجع نفسه، ص210.

[3]- لويس شيخو اليسوعي، **مجاني الأدب في حدائق العرب**، ج1، دار المشرق، بيروت، 1957، ص222.

[4]- المقري، المرجع السابق، ص179.

كذلك نجد "**أبو عبيد البكري**" وفي ضوء ما قال «الأندلس شامية في طيبها وهوائها، يمانية في اعتدالها واستوائها، هندية في عطرها وذكائها، أحورية في عظم جبايتها، صينية في جواهر معادنها، عدنية في منافع سواحله».[1]

وهذا إن دل فإنه يدل على الكثرة والرخاء التي تتمتع به البيئة الأندلسية من الناحية الجغرافية الزاخرة التي نعمها لا تحصى ولا تعد فهي من خلال ما ذكر أبو عبيد البكري بيئة غنية الأصناف، تجتمع فيها الكثير من المزيا والتي كما قال وأجمع عليها العديد من الباحثين هي جنة الله في أرض البشر فهي حفرت في الذاكرة العربية مجموعة من الآثار المتمثلة في تعدد محاسنها بالإضافة إلى أنها التربة الخصبة التي تنمو فيها العواطف الإنسانية ومواضيع أكثر ملائمة للأسلوب القوي الصريح الذي يجد من خلاله الشاعر ميدانا فسيحا ومرتعا لخيالاته ومقيلا لأفكاره وثراء تصوراته.

II. أثر البيئة الأندلسية في الشعر:

1- البيئة المكانية الطبيعية:

لقد تهافت الشعراء على وصف الطبيعة الخلابة والتعمق في أغوارها والتغني بمحاسنها، فالبيئة الأندلسية ولدت لدى الشعراء مجموعة من الأحاسيس والمشاعر قد اتخذها كل شاعر مصدراً لإبداعاته وتفننه بطريقة ما في غاية الروعة والرقة.

"لقد منح الله للأندلس طبيعة فاتنة فكانت أغنى بقاع المسلمين منظرا وأوفرها جمالاً، ترتفع فيها الجبال الخضراء وتمتد في بطاحها السهول الواسعة وتجري فيها الجداول والأنهار وتغرد على أفنان أشجار العنادل والأطيار وقد تحدث عن جمالها من حل بها".[2]

"ولقد بلغت فتنة الطبيعة في الأندلس وجمالها حدا لا يوصف، هذه الطبيعة الساحرة التي انتظمت الجبال والأنهار والوديان والحقول الواسعة وشواطئ البحار والمدن الجميلة؛مثل: قرطبة، غرناطة وطليصلة وأشبلية وغيرها وكانت مناظر الطبيعة في

---

[1]- المرجع السابق، ص126.

[2]- جودة الركابي، **الطبيعة في الشعر الأندلسي**، مكتبة الأطلسي، دمشق، 1970، ص22.

الأندلس أجل من أن توصف، فهذا وادي الأشات، وقد أحدقت به البساتين والأنهار، وفيه يقول أبو الحسن ابن نزار:

الله ضـــلك والهجيـــر مســـلط قـــد بـــردت لفحاتـــه الأنـــداء

والشـمس ترغـب أن تفـوز بلحظتـه منـــه فتطـــرف طرفهـــا الأفيـــاء[1]

وفي منحى آخر نستمع لابن بضال الملتمس وهو يصف الأرض وقد ابتهجت بحلتها النظرة التي كساها بها الربيع.

تبـــدت لنـــا الأرض مزهـــورة علينـــا ببهجـــة أنوابهـــا

كأنمـــا أزهارهـــا كـــؤس حـــدتها أنامـــل شـــرابها

كأنمـــا الغصـــون لهـــا أذرع تناولهـــا بعـــض أصـــحابها[2]

ومن خلال هذه الأبيات الشعرية يتضح لنا أثر البيئة الطبيعية في نفوس الشعراء وفي حديثنا عن البيئة الطبيعية نجدها "زاخرة من حيث سائر حيواناتها وطيورها ويكون بالأندلس من الغزال والإبل وحمار الوحش وبقرة، ولها سبع يعرف باللب أكبر بقليل من الذئب، كذلك خيلها ضخمة الأجسام، وما يكثر ذكره وكذلك حيوان البحر".[3]

" والطبيعة الأندلسية أغنت الشعراء من حيث الخيالي فهي وفرت لهم الجو المناسب للتغني بها وخيراتها ونعمها وغير ذلك مما تملكه الأندلس بلا جميلة، منها الله من طيب الخيرات ما حرمة الكثير من الأقطار ففيها الأشجار الخضراء والحدائق الفيحاء،والبساتين الغناء، وفيها الأنهار الدائمة الجريان، والسماء الصافية والمناخ الملائم".[4]

وفيما يخص ثمارها وفواكهها قال ابن سعيد:« أما الثمار أصناف الفواكه فالأندلس أسعد بلاد الله بكثرتها، ويوجد في سواحلها قصب السكر والموز، المعدومان في الأقاليم

---

[1]– محمد عبد المنعم خفاجي، **الأدب الأندلسي التطور والتجديد، دار الجيل**، بيروت، ط1412،1هـ 1992م، ص 60.

[2]– أبو الوليد اسماعيل بن عامر الحميري، **البديع في وصف الربيع**، معهد العليا المغربية، ط1، الرباط، 1940، ص114.

[3]– ينظر، المقري، نفح الطيب، ص– ص 198–199.

[4]– شهاب الدين أحمد التلمساني، **أزهار الرياض في أخبار عياض**، تحقيق: عبد السلام المراس وسعيد أحمد عراب، إشراف اللجنة المشتركة نشر التراث الإسلامي بين حكومة المغرب حكومة دولة الإمارات، ص61.

الباردة، ولا يعد منها إلا التمر، ولها من أنواع الفواكه ما يعدم في غيرها أو يقل كالتين الشعري والتين القرطي، بأشبيلية».[1]

"كذلك هي بقيمة كريمة طيبة التربة كثيرة الفواكه والخيرات فيها دائمة"[2]، فلا ترى فيها إلا مياهها تتفرع ولا تسمع إلا أطيار تسجع، ولا تستنشق إلا أزهارا تنفع".[3]

كل هذه المزايا التي تتمتع بها البيئة الأندلسية أصبحت مصدر إلهام كل الشعراء لتغني بمفاتنها وتصوير مناظرها وطرح تلك المشاعر الجياشة في مجموعة من اللوحات التي ترسم في بعض الأحيان الحزن وتارة أخرى ترسم مجموعة المشاعر السعيدة التي تغمر الشاعر وهو بين أحضان هذه الطبيعية الخلابة فهو يتخذ منها وبكل تفاصيلها مادته وموضوعاته.

"كذلك نجد فيما يخص معادنها وأحجارها وقرمزها، قد ذكر ابن سعيد أن الأرض الشمالية المغربية فيها المعارض السبعة، وأنها في الأندلس هي أعظم معدن للذهب بالأندلس في جهة شنت باقوه قاعدة الجلالقة من البحر المحيط، وفي جهة قرطبة الفضة والزئبق والنحاس في شمال الأندلس كثيرة، والصُفر الذي يكاد يشبه الذهب وغير ذلك من المعادن المتفرقة في أماكنها".[4]

وحين نتحدث عن الجمال الطبيعي لدى الشاعر نجد فيها، معاني باهية طبيعية وكذلك رقة الحس وغير ذلك من الألفاظ المهذبة، كل هذه الصفات تخلق في النفس من طرح الأفراح مجتمعه أو همومهم وآلامهم والبيئة الطبيعية هي الأم هي الطبيعية الفطرية والتي يكمن سر الجمال فيها فهي حرة ليست محكومة بقوانين بشرية عكس تلك الطبيعة التي يصنعها الإنسان فالأثر يكمن في البيئة الطبيعية أكثر من البيئة التي يقوم الإنسان بصناعتها.

1- المرجع السابق، ص200.

[2]- محمد بن عبد المنعم، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تحقيق: حسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، 1975، ص32.

[3]- ابن سعيد المغربي، **المغرب في حلي المغرب**، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف، بمصر، ط2، ج1، ص297-298.

[4]- المقري، **نفح الطيب**، ص200.

وفي ضوء ذلك نذكر أن "روعة الجمال الطبيعي آتية من ناحية الحرية في الطبيعة وحرية الطبيعة هي قانونها العام، لا تقوم عظمتها إلا به، ولا تتجلى فخامتها إلا فيه، فا لغيظة ... أجل مظهرها في النفس من الحديقة المنمنمة وشلالات...أجمل منظر في العين من النوافير المنظمة، لأن الجمال يملأ خيالك بالتأمل الحالم وذهنك بالتفكير الرفيع وشعورك بالطرب الباسط".[1]

من خلال ذلك نجد أن للطبيعة سر خاص بها وهو يكمن في برائتها الفطرية دون تدخل أو تغير من طرف الإنسان أي أنها حرة، من البساطة تجعلك تتأمل وتطرب فيزيد ذلك من قوة الانسجام بين الشاعر والطبيعة.

2- البيئة المكانية الصناعية:

"هي الأماكن التي هيأها الإنسان كمواطن لراحته واستقراره، فغالبا ما يحتاج إلى آلات صناعية وأدوات ميكانيكية تعينه في بيته وزراعته وأسفاره، فلا يمكن الاعتماد كليا على مظاهر الطبيعة الطبيعية في متطلبات الحياة كلها، فلا بد من صناعة تقوم هنا ومن آلة تقوم هناك لجعل هذه المظاهر أكثر نفعاً، وأكبر قدرة على فائدة الإنسان تلبية حاجاته".[2]

وهذه المتطلبات الصناعية لم يكن دورها فقط في المتطلبات المعيشية بل كان لها دور أرقى من ذلك حيث أنها استهلت الكثير من أفكار الشاعر ومشاعره وجعلت لكل منهم ينسج خيوط تجربته الشعرية.

قال ابن سعيد: «إلى مصنوعات الأندلس ينتهي التفصيل وللمتعصبين لها في ذلك كلام كثير... ويصنع في غرناطة وبسطة من ثياب اللباس المحررة ذو الألوان العجيبة ويصنع في مرسية من الأسرة المرصعة والحصر الفتانة الصنعة وآلات الصفر والحديد

[1]- أحمد بن حسن الزيات، **وحي الرسالة**، ج1، دار النهضة، مصر، ط6، 1963، ص10.

[2]- ينظر: محمد عويد محمد ساير الطربوي، **المكان في الشعر الأندلسي من عصر المرابطين حتى نهاية الحكم العربي (484-897هـ)**، دار الرضوان، مؤسسة دار الصادق الثقافية، ط1، 2012، ص84.

من السكاكين والأمقاص المذهبة"، ويضع بالأندلس نوع من المقصص وهو ذو ألوان عجيبة يقيمونه مقام الرخام».[1]

وهذا إن دل فإنه يدل على جودة الصناعات التي كانت معروفة في بلاد الأندلس بالإضافة إلى ذلك اهتمام الشعراء لهذه المصنوعات والتغني بها في قصائدهم وأشعارهم وعلى سبيل الذر نجد نوع من الصناعات التي اهتم بها الشعراء أنا ذاك وهي الدواليب التي تستخدم لنقل الماء.

ومما يجلب الانتباه في وصف الدواليب عند الشاعر الأندلسي أن بعض هؤلاء الشعراء خرجوا بأوصافهم وصورهم إلى الكون، الفضاء الخارجي، فقد رؤوا في حركتها المستمرة حركة الفلك الدّوار المستمر، وفي أذرعتها التي تنقل الماء، حركة الكواكب والنجوم قول هذا الفلك، أما هبوط هذه الأذرع على الأرضي وهي توزع الماء بين الحدائق والبساتين وإنما هو هبوط النيازك المشتعلة التي تسقط، هنا وهناك على سطح الأرض بين الفنية والأخرى ويقول في هذا الوصف أبو عبد الله محمد بن على الغساني الشهير بإبن عسكر:

ودائـــــر يســـــرق مـــــن مائـــــه كواكـــــب فهـــو بهـــا صـــاعد
حتـــــى إذا قـــــام بهـــــا وأســـــتوى وقلـــــت هـــــذا فلـــــك زائـــــدُ
أهـــوت إلـــى الأرض كمـــا جـــرت نيـــــازك لاح لهـــــا مـــــاردُ[2]

ومن مظاهر الصناعية التي اهتم الشعراء بوصفها في الشعر الأندلسي: السفن والزوارق فالسبب الذي جعل الشعراء الأندلسيون يهتمون بتصوير هذه المراكب والأشرعة المائية وكما هو معروف عن الأندلس، الماء الذي يطوقها من كل جانب.

نجد أحمد بن عبد ربه(*) يصف البحر والسفينة:

---

[1]- المقرى، **نفح الطيب**، ص201.

[2]- محمد عويد، **المكان في الشعر الأندلسي**، ص91.

(*)- أحمد بن عبد ربه، لم يكن في عصره من شأى شأوه في الشعر، ولكن المشارقة اهتموا بكتابة (العقد) أكثر من اهتمامهم بشعره، وقد كتب عنه في تاريخ أدب أندلسي- عصر سيادة قرطبة، 130، ومن شاء مراجعة ترجمته في المصادر فليرجع إلى الجذوة 94 وبغية الملتمس رقم:327 ومعجم الأدباء 2:27 وابن خلسكان رقم:45 وابن الفرضى 4981 والوفيات 9387 والمصمح:01 وبغية الوعاة 121 وغير ذلك من المصادر. *

بحـــر يســـير علـــى بحـــر بجاريـــة ســـجر حاملـــه بـــالبحر تحتمـــل

أنهـــا جبـــل فـــي المـــاء منتقـــل يـا مـن رأى جـبلا فـي المـاء ينتقـل[1]

هنا عبد ربه في صدد المدح فهو يصور لنا مشهد السفينة وهي في البحر وكأنها جبل وهذا يدل على قوة تصويره والإعلاء من شأن السفينة وهو يشبهها بالجبل فالجبل والمعروف عنه هو الشموخ والقوة وغير ذلك من الصفات التي يتمتع بها.

وأما عن الزوارق، فهي الأخرى جاءت بمثل ما جاءت به أوصاف السفينة، وهي غالبا ما تأتي في رحلة قصيرة حيث يقول ابن سفر (المئة السادسة) ويحسن فيما يخص الزوارق وصفها بقوله:

لـــو أبصـــرت عينـــاك زورق فتيـــة يبـدي لهـم بهـج السـرور مراحـه.[2]

من خلال هذا البيت نجد أن ابن سفر يرسم صورة مرئية لزورق فتية راحوا في نزهة نهرية في فرح ونشوة.

كذلك حضي وصف الأسلحة اِهتمام الأندلس لما لهذه الأداة القتالية من أهمية لحماية الفرد والجماعة، نظر للأوضاع التي عاشتها هذه البلاد من حروب وصراعات مع الأعداء وغيرهم.

"والسيوف البرذليات مشهورة بالجودة، وبرذيل: آخر بلاد الأندلس من جهة الشمال والمشرق والفولاذ الذي بإشبيلية إليه النهاية، وفي اشبيلية من دقائق الصنائع ما يطول ذكره".[3]

---

[1]– أبي عبد الله محمد بن الكتاني الطبيب، **كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس**، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ص169.

[2]– محمد عويد ، **المكان في الشعر الأندلسي**، ص– ص96–97.

[3]– المقري، **نفح الطيب**، ص202.

وفي ضوء الحديث عن السيوف قال على بن أبي الحسين.

وسـيف رأيـك أمضـى والسـيوف لـه أوامـر لا تـأبّى حكمهـا المهـجُ

تمـر فـي كـل جـيش وهـي سـاكنة مـن البـروق جلاهـا العـارض الهـزج[1]

كما وصفت عدة أسلحة كالقوس والرماح والسهم والجلم (المقصل) والسكين.

وفي ضوء ذل نجد المهند وفي قوله عن الرماح:

كأنمـا السُّـمرُ فـي أسـنتها نـار مصـابيح سيضـاءُ بهـا

تلـين هـزاً واللـين شَّـدتها كالحيـة الصَّـلَ فـي تواثبهـا[2]

كذلك نجد فيما يخص السكين والجلم قد قال ابن هذيل في السكين:

قـد أحوجـتْ أيـدي الملـوك إلـى فمـي فأنـا علـى الأيـدي شـبيهة أرقـمِ

أجنـي فيطلـبُ حسـابي بجنـايتيِ وأنـا قتلـتُ وفـيَّ آثـارُ الـدم[3]

كذلك نجد قول يوسف بن هارون في الجلم:

جلـم مـن صـفاه كـاد بـأن يخفـى مـا وأنّـه اصـطبار لعـيلا

قـاطع فـي انطباقـه كانطبـاق الثغـر فـي العـضّ مبطئـا وعجـولاً[4]

"وإذ تحدثنا عن المظاهر الحضارية قد اختار الأندلسيون أفضل الأماكن في المدن الأندلسية تشييد قصورهم فيها، وجعلوا بعضها دار إمارتهم للبت في أمور الحكم وشؤون الرعية كما شيدوا قصور أخرى، لتكون سكنا لهم أو لقضاء أجمل أوقاتهم فيها والترفيه عن أنفسهم، فكانوا يدرسون طبيعة المكان الجغرافية قبل البدء بالتشييد، ويدل هذا على مدى تقدم فن العمارة عندهم وكأنهم أخذوا برأي بعض حكام الروم عندما سئلوا عن البنيان

[1]- محمد الكتاني، **التشبيهات**، ص198.

[2]- المرجع نفسه، ص199.

[3]- المرجع نفسه، ص- ص240-241.

[4]- المرجع نفسه، ص242.

الجيد، فقالوا: أصلح موضع البنيان أن يكون على تل ليكون مصلا وأحق إليه أبواب المنازل وأفنيتها كواؤها المشرق واستقبال فإن ذلك أصلح للأبدان لسرعة طلوع الشمس ضوئها عليهم".[1]

وهذا يدل على جودة البناء والتفنن في بناء العمران والذي جعل الشعراء في ذلك الوقت يصفونها بكل دقة وجمال وذل من الناحية الخارجية أو الداخلية.

وفي سياق الحديث في المظاهر الحضارية كذلك وصفوا القصور والتماثيل والبرك الصناعية والفوارات وغيرها وقد اشتهرت الأندلس بقصورها الفخمة الباذخة، وعبر الشعراء عن إعجابهم وانبهارهم بهذه القصور في مقطعات كثيرة، من ذلك قول **أبي الحسن بن فضل** يصف قصور شنتبوس:

هـي قصـور البـيض لا مـا حـدثوا عـن ارم وغيرهـا مـن البنـا

تخطـف الأبصـار مـن لألائهـا والليـل قـد أرخـى القنـاع لأدكنـا

كأنمـا النهـر الخضـم تحتهـا مجـرة الأفـق امتـداد وثنـا

وهـي عليـه كـالنجوم سـحراً بـين جمـوع وفـرادى وشـنا.[2]

ويبدوا أن منظر القصور شنتبوس وهي تطل على النهر ليلاً أثار إعجاب كثير من الشعراء، فتخيلوها كالنجوم أو البدور التي تخطف الأبصار وتقيد النواظر بروعتها وجمالها، قد التفت الشعراء الأندلس إلى آلات الطرب والموسيقى يصفونها ويتغنون بها في شغف وإعجاب، ولا غرابة في ذلك إذا اعتبرنها قاطبة للغناء وقبولا له.

كذلك اهتم الأندلسيون بأدوات الكتابة، كانت لها غاية خاصة فهي بدورها تساهم وبالمرتبة الأولى في بناء الفكر الأندلسي وبناء حضارته وقد حضى القلم باهتمام من طرف الوصف. قال يوسف بن هارون:

---

[1]– ابن قتية أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينتوري، **عيون الأخبار**، **تحقيق**: محمد الإسكندراني، دار الكتاب، العربي، د.ط، لندن، 1976، ص362.

[2]– فوزي عيسى، **الشعر الأندلسي في عصر الموحدين**، دار الوفاء، الإسكندرية، ط1، 2007، ص141.

قلـــــم الـــــوزير كســـــيفه هـــــذا يطـــــول وذا يطـــــول

أضـــــحى كلـــــيش خفيّـــــة وداوتُـــــه الليْـــــث غيـــــلُ[1]

الأندلس بلاد جميلة خلابة، فيها من السهول الخضراء، والحدائق الغناء والجبال الشاهقة والأنهار الجارية والأشجار الباسقة، فهي غنية من الناحية الطبيعية وكذلك الصناعية فلقد توفرت كل الاحتياجات لكي تبدع اليد الإنسانية في مختلف الأنواع المتعلقة بالصناعة.

وكانت للبيئة الطبيعية والصناعية منحى آخر وهو جعل معظم الشعراء نظم العديد من القصائد فيها، وانبهارهم بالطبيعة الأندلسية فجر نوع خاص بهم من حيث أنها هزت مشاعرهم وأثارت عواطفهم فرسموا طبيعة بلادهم في لوحات شعرية رائعة الجمال.

[1]– محمد الكتاني ، **التشبيهات**، ص235.

الفصل الأول:

لمحة عن شعر الطبيعة في الأندلس

I- بواكير شعر الطبيعة في الأندلس

II- تفجر الطبيعة في لوحات الشعر الأندلسي

III- نظرية المعادل الموضوعي

I. بواكير شعر الطبيعة في الأندلس:

تعلق العربي ببيئته وهام بها، وتغنّى بها في أشعاره لأنها منحته صفاءها وجمالها، فمنحها فكره وعقله، ومن ومن ثم قوى التمازج بينهما حتى أصبحت تهيمن على الجزء الأكبر من تجاربه، وقد شكلت الطبيعة بسحرها ولا مساتها المميزة الفكر العربي منذ عهد قديم فموضوع الطبيعة ليس بالموضوع الجديد على البيئة الأندلسية والدليل على ذلك ما ذكرته المصادر العربية القديمة.

"أن شعر الطبيعة معناه العام من أقدم فنون الشعر العربي، وطبيعة الحياة العربية تؤكد ما روى من أن العربي القديم يحد وابله وأنه بدأ هذا الحداء بترديد عبارات قصيرة يستعين بها على مشقة السفر، كما أن العمال في واحات النخيل وغيره كانوا يغنون استعانة على العمل، وأن هذا الغناء، وذلك الحداء تطور حتى صار في مواد الشعر الأولى، ويدل على هذا أقدم المأثور من الشعر العربي، إذن وصف الصحراء وحيوانها وصف سداه الملاحظة، ولحمته الشعور الذاتي، وبدت فيه الإبل والخيل مستولية على فؤاد العربي لمام الاستيلاء".[1]

فالشعر العربي القديم كان يستوحي أفكاره من الطبيعة الصحروية وما هو موجود فيها فكانت التفاصيل الكبيرة أو الصغيرة تلفت انتباه الشاعر العربي القديم فهي بالنسبة له مصدر إلهامه وقوله الشعر.

"وظلت الطبيعة منزل وحي الشاعر تنطلق فيها نفسه، وتجود قريحته ومن هنا كان زهير يلجأ إلى الطبيعة حيث يستعصى عليه الشعر ويقول: "إنه برَّي" وقيل لكثير: كيف تصنع الشعري أبا صخر، إذا عسر عليك قول الشعر؟ قال:«أصوف على الرباع المحلية، والرياض المعشية، فيسهل على أريضة، ويسرع إلى أحسنه»".2

والمعروف في البيئة الجاهلية القديمة أنهم يستعملون الناقة والخيل والإبل في فسحاتهم في البوادي بكثرة وأغلب أشعارهم قيلت وهم في صحبتها.

---

[1]–سيد نوفل، **شعر الطبيعة في الأدب العربي**، مطبعة مصر، القاهرة، 1940، ص23.

[2]– المرجع نفسه، ص25.

" فالشعر ابن الطبيعة، منها نشأ وفي أحضانها ترعرع وبمثلها العليا بلغ الكمال".[1]

" والأدب العربي كأيّ أدب آخر، لم يخل من شعراء، تطرّقوا في شعرهم إلى وصف كل ما وقع عليه حسهم من مشاهد الطبيعة في بيئاتهم وعصورهم المختلفة".[2]

" ولمتتبع نشأة الوصف في الشعر العربي يرى أنه اللون الغالب على الشعر القديم، نجد الجاهليون وصفوا الإبل والخيل، وكواسر السباع، وأوابد الوحوش وجوارح الطيور وصوادحها... كذلك وصفوا النبات، ضروبه وألوانه، ومن السماء نجومها وكوكبها وسحابها وبروقها وأمطارها وخاصتاً الديار والأطلال".[3]

ومثال من ذلك وصف الناقة عند امرئ القيس:

لمـــن الـــديار عشـــيتها بســـحام فعمـــا يتبـــين فهضـــب دى أقـــدام[4]

يصف الناقة فيقول كأن ناقتي السريعة المجد نعامة تسير في طريق ملتهب، وهي طويلة العنق عالية الرأس، ذكية القلب سريعة على ما بها من مشقة وتعلل.

"ونجد كذلك في صدر الإسلام حيث الفتوح الإسلامية نشيطة مطرودة نرى الشعراء ممن شاركوا في هذه الفتوح، يصفون الحروب والقتال وأدواته، وحصار المدن والفتوح وفي الشعر الأموي نرى وصف للديار والأطلال، ووصفا لبعض الحيوان، كوصف الثور الوحشي ووصف الإبل للراعي النميري، وصف الحمر الوحشية للشماخ".[5]

وشعر الطبيعة لم يقف في هذه العصور بل اِمتدى إلى العصر العباسي حيث وجد فيه مساحة شاسعة في قول الشعر والتغني بمظاهر الطبيعة نظرا للحياة الزاهية والمترفة.

ثم تقدم شعراء العباسين خطوة أخرى في وصف الزهريات والتغزل بها، كقول المعتز قضيبا من الريحان:

---

[1]– المرجع السابق، ص25.

[2]– عبد العزيز عتيق، **الأدب العربي في الأندلس**، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، د.ط، ص284.

[3]– المرجع نفسه، ص285.

[4]– سيد نوفل، **شعر الطبيعة في الأدب العربي**، ص34.

[5]– المرجع السابق، ص286.

قضـيبٌ مـن الريحـان شـابة لونُـهُ إذا مـا بـدا للعـين لـونَ الزمـرُّد.[1]

"وأعلام هذا العصر في شعر الطبيعة خمسة: أبي نواس، وأبي تمام، البحتري، ابن الرومي، ابن المعتز، أما بشار فلم يحدث جديداً في هذا الموضوع".[2]

والواضح الذي لا هروب منه وكما تذكر بعض الكتب التاريخية، "أن أغلب الظن بل أرجحة أن الشعر الأندلسي كان متأثرا إلى أبعد الحدود بمثليه في المشرق فكانت الرحلة دائمة بين الشرق والغرب من عملية وأدبية واقتصادية، وقد حفلت كتب الأدب بالأخبار".[3]

صحيح أن الشعر الأندلسي في الطبيعة قد تأثر بالمشارقة ولكن هذا لا ينفي أن الشعراء الأندلسيون قد برعوا في هذا الموضوع وتعمقوا في نظم وقول الشعر فيه.

هذا وقد ظهرت بواكير شعر الطبيعة في الأندلس في عصر الإمارة، كقول عبد الرحمن الأوسط، وقد كتب إلى صديقه الشاعر عبد الله بن الشمر:

مـــا نـــراهُ فـــي اصـــطباحِ وعقـــودُ القطـــرِ تَنشـــر

فـــإذا مـــا هبـــت الـــرَّيحُ صـــبا صـحت وأشـواقي إلـى الأنـدلُسِ[4]

"ولئن كان شعراء المشرق قد سبقوا إلى شعر الطبيعة، ولكن كان شعراء الأندلس قد اقتفوا أثرهم في هذا الفن الشعري، فإنهم لم يخلفوا عنهم فيه أو يقفوا عند جدود الموضوعات التي طرقها المشارقة، الواقع الذي شاهدهُ من نفسه أن الأندلسيين قد فاقوا المشاركة في شعر الطبيعة كما وكيف، وتوسعوا ونوعوا في موضوعاته توسُعاً وتنوعا فات كل اعتبار، كما كانوا فيه أكثر براعة وابتكار وتجديد ودقة تصوير".[5]

---

[1]- المرجع السابق، ص287.

[2]- سيد نوفل، **شعر الطبيعة**، ص164.

[3]- مصطفى الشكعة، **الأدب الأندلسي (موضوعاته وفنونه)**، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ص247.

[4]- صديق بتال حوران الساعدي، **ظاهرة المقطعات (في الشعر الأندلسي)**، دار غيدام، ط1، 2014، ص94.

[5]- عبد العزيز عتيق، **الأدب العربي في الأندلس**، ص291.

" ولذلك عده الكثير من الدارسين منباطاً للتجديد وموضوعاً أبدعوا فيه، وامتازوا على الشعر المشرقي من حيث أن الجديد هو اِنعكاس للبيئة الجديدة وتفاعل معها، وهو عند بدير متولي حميد لون من ألوان الثلاث تفوق فيها الأندلسيون هي شعر الطبيعة".[1]

أما من ناحية التقليد نجد " الأندلسيون لا يفقدون شخصيتهم الخاصة في ذلك العمل الإبتداعي التقليدي، فهم يلينون القديم ما استعطوا التلين، وهم يستخرجون من الأساليب القديمة والتعبيرات القديمة ما ينسجم ومزاجهم الخاص، ويتناغم وأحوالهم الحياتية".[2]

ومن هنا نستخلص أن الشعر الأندلسي في موضوع الطبيعة ليس بالجديد كموضوع ولكن من ناحية الإبداع فهو يفوق الشعر المشرقي بكثير لأن البصمة الأندلسية في شعر الطبيعة تفوق كل الأشعار التي قيلت قبل، وتميزه وتصنفه في تاريخ الشعر العربي كميزة طبع عليها.

II . تفجر الطبيعة في لوحات الشعر الأندلسي:

تألقت البيئة الأندلسية بطبيعتها الخلابة، فسجل التاريخ وبصم على ذلك والفضل كله يعود إلى تلك المجموعة الشاعرة فقد كان لسحر الأندلس فتنة كبيرة أشغلت القلوب، وأخذت العقول، وألهبت الأقلام، فتعلق بها الشعراء الأندلسيون جميعا منهم من أغرق فيها وتعمق ومنهم من اتخذها كجزء مهم في أشعاره حتى عدت طابعا أساسيا نلتمس الشخصية الأندلسية من خلاله.

---

[1]– منجد مصطفى بهجت، **الأدب الأندلسي (من الفتح حتى سقوط غرناطة)**، دار اليقوت، عمان، الأردن، ط2، 2006، ص357.

[2]– حنا الفاخوري، **الموجز في الأدب العربي وتاريخه**، دار الحيل، بيروت، مجلد 3، ط3، 2003، ص ص158–159.

1- الطبيعة في الشعر الأندلسي:

"الحقيقة أن شعر الطبيعة في الأندلس لم يبدأ بالتوسع إلا بعد منتصف القرن الرابع الهجري، إذا تعد هذه الحقبة ضحى شعر الطبيعة في الأندلس، فبرز شعرها في بعض مختلطا بالأغراض والموضوعات الأخرى، ذا الصلة بها".[1]

فقد "حب الله الأندلس طبيعة ساحرة خلابة، أحاطت بها البحار وكثرت الأنهار وانتشرت الرياض والحدائق والمتنزهات وفتنت هذه الطبيعة الجميلة شعراء الأندلس، فأحبوها وتعلقوا بها وبرعوا في وصفهم في لوحات شعرية أخاذة، وقد أشار الحجار في المسهب إلى ذلك فقال: "وهم- يعني الأندلسيين- أشعر الناس فيما كثرة الله تعالى في بلادهم، وجعله نصب أعينهم من الأشجار والأطيار والكؤوس، لا ينازعهم أحد في هذا الشأن".[2]

وذلك لأن البيئة الأندلسية مركز اِهتمام كل الشعراء لما فيها من كل الاتجاهات مرتع لخيالهم وتوسعاتهم الشعرية وتجسيد لكل أفكارهم من خلال تلك الطبيعة الساحرة، والمتوفر فيها كل الحاجيات.

ويرسم شاعر آخر أندلسي لوحة بديعية للطبيعة الأندلسية برياضها وأزهارها وأنهارها وأطيارها وسواقيها، ووظف عنصر التشخيص، فتخيل النسبة هائما بجمالها، وجعل للأنهار سواعد تمتد بشقائق النعمان، وقد أخذت أعين النرجس وأنامل السوسن تستقبل للشاعر مرحبة وقد تجذرت هذه المناظر البهيجة في ذاكرته يقول:

يـا حسـن أنـدلس ومـا جمعـت لنـا فيهـا مـن الأوطـار والأوطـان

تلـك الجزيـرة لسـت أنسـى حسـنها بتعاقـب الأحيـان والأزمـان.[3]

فالشاعر هنا يرسم لوحة شعرية تحكى عن حبه لوطنه وأنه لن ينساه فهو مخلص لتلك البيئة الأندلسية الحسناء والتي جمالها حفر في ذاكرته.

---

[1]- صديق بتال حوران، **ظاهرة المقطعات**، ص95.

[2]- فوزي عيسى، **في الأدب الأندلسي**، دار المعرفة الجامعية للطبع والنشر والتوزيع، الإسكندرية، 2009، ص11.

[3]- المرجع نفسه، ص13.

"فالشاعر الأندلسي شديد الارتياح إلى الطبيعة، شديد الشغف بها، وهي في زحمة الموضوعات مركز الالتفات، ومنبع التصوير والتزويق ويرجع إليها الشاعر في كل ساعة، ويسكب منها في نفسه وخياله ما تنسكب فيه النفس وينطلق به القول، وحب الأندلسي للطبيعة غارق في جو من الحزن الرومانطقي... ولئن توقف بعض الشعراء عند الطبيعة توقف العاشق أمام المعشوق، فقد اتخذها غيرهم إطاراً للهوهم يتناغم وأحوالهم النفسية".[1]

ومن هنا يتبين لدينا أن الطبيعة هي التي تجعل من الشاعر رسام بألفاظه وملونا بمعانيه فهي تفتح له المجال في أن يقول وأن تذهب به تلك الطبيعة إلى أبعد الحدود والخيالية المعيرة والمجسدة لكل ما هو نفسي، إلا أن يشكل صوراً فنية يراها من لم يزورها ويستمتع بها من لم يشاهدها.

"فراح الأندلسي ينظم شعره، وكأنه يعالج الحجار الكريمة، والجواهر اللمَّاعة".[2]

" وتعد الطبيعة ركيزة من ركائز الإلهام في جمال الصورة في القصيدة الأندلسية، فقد حاول الشعراء لاستفادة من الطبيعة بصورها المختلفة والإحاطة بها، والتفاعل معها، ورسمها في أشعارهم بعد مزجها بخيالهم الخصب، فقد كانت الطبيعة ملجأ للشعراء في حال فرحهم وحزنهم فالشاعر الأندلسي تتفتح عينه منذ ميلاده، وقد أحاطت به الطبيعة بمظاهرها المختلفة، ويحيا الإنسان في بيئة، وقد شكلت الطبيعة أحد أهم المؤثرات في تكوينه، والفنان هو أكثر طبقات المجتمع رهافة في استقبال مظاهر الطبيعة، ثم وبعد عملية استقبال تلك تتم عملية الإبداع".[3]

الصورة التي يشكلها الشاعر مستوحات من الطبيعة فهي تأثر في حواسه وكذلك نفسية مما يجعل من قدراته الإبداعية عالما من الأخيلة، يسبح فيها كل من يتمعن فيها ويصيب في قصدها .

---

[1]– حنا الفاخوري، **الموجز في الأدب العربي**، ص157.

[2]– المرجع نفسه، ص159.

[3]– لمياء عبد الحميد القاضي، **مرجعية الصورة في شعر الطبيعة في النصف الثاني من القرن الهجري– نحو اعتماد المرجعية أساساً تقديا**، مكتبة الآداب ، القاهرة، ط1، 2012، ص247.

"ويعمد الشاعر إلى إقامة علاقات بين الأشياء الملموسة والمشاعر المتدفقة ليقدم إلى القارئ عالما رحبا من التصوير الفني المتمتع".[1]

كذلك كانت الطبيعة الأندلسية بمثابة المرآة العاكسة فهي ومن خلال مظاهرها وكأنها تتحدث بسم الإنسان عن كل أحواله النفسية السعيدة والحزينة.

"والشعراء الأندلسيين وجدوا في الطبيعة مرآة لأحاسيسهم ومشاعرهم فنغموا معها شاكين همومهم...آملين أن يستشعروا في ربوعها معاني الأمل والتفاؤل، فقد كانت الرفيق الروحي، والملهم في أشعارهم".[2]

فالطبيعة كانت بمثابة الرفيق الروحي من حيث أن كل منهما يفهم الآخر دون أي تفسير أو تدليل.

"وقد وقف دارسوا الشعر الأندلسي كتابا أو فصولا في دراسة هذا اللون وخصائصه وسماته، وأبرز شعرائه، إن الشخصية الأندلسية مهما كانت مرتبتها العلمية والاجتماعية كانت تذوب وتتلاشى كلما التقت بالطبيعة أو واجهتها، إذ لا تمتلك غير الاستجابة لها ملبية دعوتها إلى الاستمتاع بما تزخر به من مفاتن، فقد شغل شعر الطبيعة الناس جميعا، خاصتهم وعامتهم ملوكهم وسوقتهم".[3]

2- وصف الطبيعة:

"قلما خلاّ أدبُ أمة من شعراء أحبُّوا طبيعة بلادهم، وتغنوا بها في أشعارهم تعبيراً عن انفعالهم بمشاهدها، أو إظهار لمدى قدرتهم على التصوير...والأدب العربي كأي أدب آخر، لم يخلُ من شعراء تطرقوا في شعرهم إلى وصف كل ما وقع عليه حسهم من

---

[1]- فوزي خضر الباطن، **عناصر الإبداع الفني في شعر ابن زيدون**، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، الكويت، 2004، ص168.

[2]- آزاد محمد كريم الباجلاني، **القيم الجمالية في الشعر الأندلسي-عصر الخلافة والطوائف**، دار عياء للنشر والتوزيع، ط1، 2013، ص120.

[3]- منجد مصطفى بهجت، **الأدب الأندلسي**، ص357.

مشاهد الطبيعة...وباب الوصف عند العرب من أكبر فنون الشعر، ذلك لأنه يأتي في أغراض الشعر ممتزجاً بها، وقل أن نجد قصيدة بنيت على موضوع الوصف وحده".[1]

"وقد انعكست فتنة الشعراء بالطبيعة فيما نظموه من شعر، فقد ربطوا الطبيعة بكل الموضوعات الأخرى، فإذا تغزل الشاعر جعل الطبيعة إطاراً لغزله...وإذا مدح أو رثى أخذت صور الطبيعة تبثُ في أبياته".[2]

فالوصف إذن هو من أكثر لأغراض اِرتباطاً بشعر الطبيعة إذ به يتسع ويشمل جميع المظاهر الطبيعية.

"الطبيعة هي أصل الجمال ومبعثه، منها يستمد الإنسان طاقته ووجوده، وإليها يهرع إن أصابه مكروه أو أحب...وهي مصدر الإلهام للرسام ولكل فنان، لكن مهما أبدع الشاعر أو الكاتب أو الرسام في الشعر أو الوصف أو الرسم، فإنما هم يقلدون الطبيعة".[3]

ومن هنا يتبين أن الطبيعة هي الأصل لولا جمالها لما استطع الإنسان الشاعر أن يصل إلى ما وصل إليه فاتجه الشاعر يصف كل ما يراه وذلك لشدة ذهوله من تلك الجماليات التي تسحر الأنظار.

"وشعرا الطبيعة يمثل لنا مدى تعلق الأندلسيون بيئتهم الجديدة، فاتجهوا يصفون صنع الله في الكون، فجمال الطبيعة كان أهم باعث على قول الشعر فيها".[4]

"وقد كان من أثر جمال الأندلس أن شغفت بها القلوب وهامت به النفوس فأخذوا الشعراء ينظمون بها درراً، وأكثروا فيها، حتى فاقت الأندلس جميع بلدان في شعرها الوصفي".[5]

---

[1]- عبد العزيز عتيق، **الأدب العربي في الأندلس**، ص284.

[2]- فوزي عيسى، **الشعر الأندلسي في عصر الموحدين**، ص128.

[3]- آزاء محمد كريم الباجلاني، **القيم الجمالية في الشعر الأندلسي- عصر الخلافة والطوائف**، ص115.

[4]- منجد مصطفى بهجت، **الأدب الأندلسي**، ص363.

[5]- صديق بتال، **ظاهرة المقطعات**، ص93.

خذ مثلا قول ابن النظام:

وقـــد بـــدت للبهـــار أولويـــةٌ تعْبـــقُ مِسْـــكاً طُلوعُهـــاَ عَجَـــبُ
رؤوســـــها فِضَّـــــةٌ مورَّقَـــــةٌ تشْـــرِقُ نُـــوراً، عيونُهـــاَ ذَهـــبُ
فهـــو أميـــرُ الرّيـــاضِ حـــفَّ بِـــه مـــنْ سَـــائِرِ النُّـــورْ عَسْـــكَرٌ لَجِـــبُ[1]

إنه أراد وصف البحار، فمزج في وصفه صورا لعبيره الزاكي، المعادن النادرة والأنوار المتلألئة، والسياسة لآمرة، والجيوش الزاحفة، وكل ذلك في مشهد واحد.

من خلال الطبيعة الأندلسية يتضح أن الوصف قد أخذ حيزا كبير في الساحة الشعرية واتسع في الأندلس اِتساعا عظيما، وتنوعت موضوعاته الطبيعية.

ومن بين اللوحات الشعرية التي لونتها الطبيعة نجد الشاعر الرمادي في مقطوعته الشعرية التي هي في التغزل يقول:

علـى كبـدى تهمـى السـحاب وتـذرف وعـن حزنـى تبكـي الحمـام وتهتـف
كـأن السـحاب الواكفـات غواسـلي وتلـك علـى فقـدى نـوائحُ هُتَّـف
ألا ظغنـت ليلـى وبـان قطينـا ولكـن بـاق فلومـوا وعنفـوا
وآنسـت فـي وجـه الصـباح لبينهـا نحـو كـأن الصـبح مثـل مـدنف[2]

ففي هذه الأبيات تتجلى قدرة الشاعر في تحقيق الوحدة، حيث يقع كل بيت بل كل شطر من بيت، في موقعه الذي لا يمكن أن يزحزح عنه، ثم فيها كذلك تتجلى قدرة الشاعر في الربط بين مشاعره وبين الطبيعة، وفي استغلال بعض مظاهر تلك الطبيعة.

رسم صورة شعرية تنمي التعبير الشعري وتصعد به فالسحب تمهى بالمطر لتبر غليله، والحمائم تبكي لتنوح على جرعه، بل إنه أشبه بميت تغسله السحب الواكفة وتنوح عليه الحمائم الهاتفة إن صاحبته قد رحلت وبعد ركبها، ولكنه هو باق ومن هنا كان طبيعي أن تذهب نفسه حسرات وأن يبلغ الحال به ما بلغ، فليلم للائمون إذن وليعنف المعنفون، فهم

[1]– حنا الفاخوري، **الموجز في الأدب العربي وتاريخه**، ص160.

[2]– أحمد هيكل، **الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة**، دار المعارف، القاهرة، 1985، ص296.

في الحق متحبون، وماذا يصيره من هؤلاء وأولئك؟ إن الطبيعة نفسها أحسنت فراق الحبية وتأثرت لبعدها.

من أشهر وأجمل ما قيل في هذا الصدد بيتان للطليق المرواني جمع فيها الغمام والرعد والبرق وتخليدها:

فكـــان الغمـــام صـــب عميـــد أنَّ بالرعـــد حرقـــة وشـــتكاء

وكـــأن البـــروق نـــار جـــواه والحيـــاة دمعـــه يســـيل بكـــاد.[1]

ولعل من مظاهر كلف الأندلسيين وشغفهم بالطبيعة أن أصبح الواحد منهم ينتظر قدم فصل الربيع للهفة وشوق ينتظر غائبا عزيزاً طال غيابهُ، فالربيع هو ابن الطبيعة وملكها رسمها وتخليدها.

وفي قول يوسف بن هارون:

كـــأن الربيـــع الصـــلقَ أقبـــل مهـــديا لطلـــةِ معشـــوقٍ إلـــى عـــين مغـــرم

تعجـب مـن غوصـى الحيـاة فـي حشـا فأفشـــى الـــذي فيـــه ولـــم يـــتكلم

كأن الذي سيقي الثرى صوب قهوةٍ تـــنمُّ عليـــه بالضـــمير المكـــتَّم.[2]

فالشاعر يستعين بهذه الطبيعة ويستخرج منها قالبا شعريا غذاه بخياله الواسع، وبعد ذلك يكون مادته الشعرية، حتى أنه لا يدع شيئا وهبته الطبيعة إلا وصوره فهنا يبرز التفاعل مع الطبيعة ومكوناتها ويكون الإبداع في الوصف الحسي والمعنوي غاية يجذب بها الشاعر قراءه ولذلك نجد الوصف قد بلغ شأوا كبيراً إذ أنهم خرجوا فيه عن القدماء إلى معانٍ وموضوعات لم تكن معهودة من قبل نظر لما شهدته البيئة الأندلسية فالعلاقة التي ربطت الطبيعة مع الشعراء علاقة تجلت في كل من القصائد العمودية والشعرية وكذلك في أنواع أخرى التي ألقيت فيها مصنفات وقصائد لا تعد ولا تحصى.

[1]– محمد الكتاني، **التشبيهات**، ص32.

[2]– المرجع نفسه، ص42.

3- علاقة الطبيعة والموشح:

قد أنتجت البيئة الأندلسية شعراء غلبت على أشعارهم الموضوعات المستوحاة من الطبيعة.

فقد شارك الوشحون الشعراء في الألفات إلى مجال الفتنة في بلادهم فوصفوا كثيراً من مظاهر الطبيعة وامتزجت أوصافهم للطبيعة بأغراض أخرى كالخمر والغزل والحنين... فالشاعر أو الوشاح يصف الطبيعة لصلته الوثيقة بها، ولإحساسه بأنها جزء لا يتجزأ من نفسه، فهو لا يكتفي بوصف الطبيعة وحدها بل يمزجها غالب بوصف الخمر لأن مجالس الشراب كثيرة ما كانت تقام في رحاب الطبيعة وبين أحضانها.

ومن أمثلة التلاحم بين الخمر والطبيعة قول ابن شرف:

أدرك كـــــــــــؤس الخمـــــــــــر
عنبريـــــــــــــة النشـــــــــــر
أن الروضـــــــــى ذو بشـــــــــر.[1]

"ويصف ابن عتبة يوما قضاه في "الخليج" فيرسم لوحة جميلة نرى فيها الموج يركض فيصل إلى أطراف المروج الخضراء المنبسطة".[2]

فإن موضوع الربيع قد يقترن بأغراض أخرى كالحب والخمر والوصف، وقد يأتي مستقلاً، إلا أن ما جاء منه مقترنا بالغزل ينتشر انتشارا واسعاً في الموشحات فالشاعر يستلهم محاسن حبيبته من جمال الطبيعة، وهناك أمثلة كثيرة في الموشحات.

---

[1]- عبد العزيز عتيق، **الأدب العربي في الأندلس**، ص357.

[2]- المرجع نفسه، ص360.

فمن ذلك قول **ابن سهيل الإشبلي:**

وردٌ ونســـــرينٌ وزهـــــرُ ألأقـــــاح كالمســـــــــــــك فـــــــــــاح

والطيـــــر لتشـــــدو بـــــاختلاف النـــــواح[1]

فالحب وكما هو شائع عند شعراء الطبيعة لا يحلوا إلا مع الربيع وتغريد العصافير وغيرها ممن يجعل الشعراء وهم في قمة سعادتهم بالإبداع والتغني.

"ولما كانت المرأة صورة من محاسن الطبيعة، كانت المناظر الفاتنة تذكر العاشق بحبيبته وتبعث في نفسه حنين الوصل، وهذا ما جعل الشاعر يستهل قصائدهُ الغزلية بمقدمات في وصف الطبيعة".[2]

ويرسم أبو جعفر بن سعيد لوحة بديعة لحور مؤهل، فيصف جمال الحور بما يضمه من رياض وأنهار وحمائم.

يقول أبو جعفر بن سعيد في موشحه:

ذهبـــــت شـــــمس الأصـــــيل فضـــــــــــــة النهـــــــــــــر

أى نهـــــــــر كالمدامـــــــــه

صـــــــير الظـــــــل فدامـــــــه

نســـــــجته الـــــــريح لامـــــــه

فهـــــو كالعضـــــب الصـــــقيل حـــــــــــــق بالشـــــــــــفر[3]

ولو طلعنا الموشحات في موضوع الطبيعة لوجدنها استخدمت معجم الطبيعة بحيث استترى في أبنيتها ومفرداتها.

---

[1]– محمد عباسة، **الموشحات والأزجال الأندلسية وأثرها في شعر التروبادور**، دار أم الكتاب، ط1433،1هـ 2012م، ص312.

[2]– المرجع نفسه، ص313.

[3]– فوزي عيسى، **الشعر الأندلسي**، ص361.

4- علاقة الطبيعة والزجل:

كذلك نجد لأزجال هي الأخرى قد عبرت في كثير من أشعارها عن الطبيعة.

عبر الزجلون عن فتنتهم بطبيعة بلادهم الجميلة، فوصفوا الرياض والأشجار والأزهار، واقتفوا أثار الشعراء وصورهم، فمن ذلك هذا الزجل أي على الدباغ في وصف روضه يقول:

لا شـــراب إلا فـــي بســـتان والربيـــع قـــد فـــاح نـــوار
يبكـــي الغمـــام ويضـــحك أقحـــوان مـــع بهـــار
والميـــاه مثـــل الثعـــابين فـــذاك الســـواق دارو
والنســـيم عـــدرى قـــد نحـــل جســـم وقـــد رق[1]

وهذا الزجل لوحة فنية رائعة رسمها أبو على الدباغ للروضة وقت الربيع بطيورها وثمارها وأزهارها ونسيمها.

وهذا الزجل لوحة فنية رائعة رسمها أبو على الدباغ للروضة وقت الربيع بكل مظاهرها الطبيعية.

وقد يأتي وصف الطبيعة في الأزجال ممتزجا بموضوع الغزل كقول عبد العافر بن رجلون المرواني وهو من زجّالي القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي).

أوقـــد فـــي قلبـــي النـــار ولـــيس يريـــدْ يطفيـــهْ
وســـدَّ بـــاب الـــدارْ أيْ خـــذل فيـــه وأي تيـــه
يـــا أحســـن الغـــزلان يـــا كوكـــبْ درّي
لـــك تســـجد الأغصـــان ويمـــدح القمـــري[2]

[1]- المرجع السابق، ص449.

[2]- محمد عباسة، **الموشحات والأزجال الأندلسية**، ص144.

"في هذا الزجل الذي لجأ فيه الشاعر إلى تشخيص عناصر الطبيعة يمتزج الوصف المادي بالوصف الوجداني، ففيه تسجد الأغصان ويمدح القمري ويخجل النعمان من أجل المحبوب، وكأن هذه العناصر تملؤها الحركة والنشاط".[1]

III. نظرية المعادل الموضوعي:

"استعمل إليوت هذا المصطلح أول مرة في مقال له عن مسرحية (هاملة) لشكسبير سنة 1919، والمعامل الموضوعي هو الطريقة الوحيدة للتعبير عن العاطفة في قالب فني هو مجموعة من الموقف، أو سلسلة من الأحداث".[2]

1- مفهوم المصطلح عند إليوت:

"المعادل الموضوعي (Objectivecorrelative) مصطلح نقدي يشير إلى الأداة الرمزية التي يستخدمها النقاد والمبدعون للتعبير عن بعض المفاهيم المجردة، ويوضفها الشعراء لإبعاد ذواتهم وأحاسيسهم عن العمل الإبداعي يوفر مصطلح المعادل الموضوعي عنواناً للطريقة التي يقدم بها الفن مجموعة من التمثيلات التي قد لا يصرح بالعاطفة فيها، لكنها –تمثيلات– تعبير عن هذه العواطف، وهو معادل خارجي لحالة ذهنية داخلية يمثلها الشاعر خاصتا، انطلاقا من نظرة إليوت للقصيدة".[3]

وقد كتب إليوت سنة 1989: «إن الطريقة الوحيدة للتعبير عن الانفعال في شكل فن تنحصر في إيجاد معادل موضوعي وبكلمات أخرى مجموعة من الموضوعات والأوضاع، وسلسلة من الحوادث تكون معادلة لذلك الانفعال الخاص، حتى إذا ما أعطيت الوقائع الخارجية التي ينبغي أن تنتهي بتجربة حسية استعيد الانفعال نفسه حالا».[4]

---

[1]- المرجع السابق، ص144.

[2]- محمد عزام، **المنهج الموضوعي**، مطبعة اتحاد كتاب العرب، دمشق، د.ط، 1989، ص28.

[3]- أحسن دراس، **المعادل الموضوعي في النقد الأنجلو أمريكي الجدي**، مجلة الأثر، العدد 26 سبتمبر، جامعة الإخوة منتوري، قسنطينة، الجزائر، 2016، ص48.

[4]- المرجع نفسه، ص144.

جوهر المصطلح يشير إلى أن اليوت اول من وضع الأسس النظرية القائمة على معايير نقدية مع العلم التام ان هذه الأسس قد أخذها من مرجعيات قد أفاض فيها مجموعة من الباحثين في هذا المجال، بالإضافة إلى أنه مصطلح حديث ترعرع في أحضان البيئة الغربية.

"وحسب إليوت يتحدد مفهوم هذا المعادل الموضوعي ووظيفته من خلال كون هذا المعادل هو السبيل الوحيد للتعبير عن العاطفة في شكل فني، أي لخلق مجموعة من الأشياء أو المواقف أو الأحداث تكون معادلا، أو قالب للعواطف وبهذا الطريق ينجو الشاعر من التعبير عن عواطفه بشكل مباشر".[1]

ويشير إليوت للمعادل الموضوعي بقوله « معادل ذلك الانفعال الخاص بحيث إذ أعطيت تلك الحقائق الخارجية التي يجب أن تنتهي بتجربة حسية، ستثير ذلك الانفعال حالا».[2]

من خلال ما سبق ذكره يتبين لدينا أن المعادل الموضوعي بمثابة الطريقة التي يعبر بها الشاعر عن العواطف التي تتجسد من خلال التعبير الكلامي.

"قد حاول كثيرون أن يربطوا بين هذه النظرية وبين تعريف عزرا باوند للشعر في كتابه (روح الرومانسي) عام 1910، وهو تعريف أقدم زمنيا، وفيه يقول باوند:« إن الشعر نوع من الرياضيات الملهمة التي تعطينا معادلات للأرقام المجردة والمثلثات وما اشبهها وإنما تعطينا معادلات للانفعالات الإنسانية».[3]

فكرة المعادل الموضوعي لم تكن الشيء الجديد فهي قد ظهرت في تعبيرات لمجموعة من النقاد قبل إليوت.

"هناك أقوال نقدية كثيرة سبقت إليوت وبشرت لفكرة المعادل الموضوعي قبله وفيمايلي بعض هذه المقاطع وهي لنقاد مختلفين:

---

[1]– محمد زغلول سلام، **النقد الأدبي المعاصر**، منشأة المعارف الإسكندرية، جلال حزى وشركاه، ج1، ص39.

[2]– حسام الخطيب، **جوانب من الأدب والنقد في العرب**، منشورات دمشق، ط5، 1993 1994، ص406..

[3]– محمد عزام، **المنهج الموضوعي**، ص28.

1- وهكذا أيضا وضع العالم الخارجي بالنسبة للعقل الذي يحتاج بدوره حسب حالة تحليه، إلى معادلة الموضوعي، ومن تم يكون ضغط موضوع خارجي ما يقدر له أن يتوافق مع الفكرة المسبقة في قوتها الحياتية أساسا لنمو نهايتها الصحيحة الانفعال الممتع.

2- أن فن الشاعر هو إلى حد عظيم توطيد الانفعال وذلك بجميع الأشياء المبعثرة التي تثيره عادة.

3- الطريقة الوحيدة المجدية لآثاره أي شعور معين ابعد من مجرد الشعور الجسدي هي استدعاء الصور المرتبطة طبيعيا بهذا الشعور.

4- الآن الانفعال لا يوجد، أو يصبح محسوساً وفعالا فينا، إلا أن يلاقي التعبير عنه في اللون أو الصوت أو الشكل و فيها جميعاً، ولأنه ما من نسقين أو نظامين من هذه الثلاثة يعطيان الانفعال نفسه مادام الشعراء والرسامون والموسيقيون يصنعون الجنس البشري ويبطلون ما يصنعونه وهذه المقاطع الأربعة يمكن أن تقارن مع المعادل الموضوعي لإليوت".[1]

"إن إليوت لم يكن يرمي إلى إبداع نظرية نقدية جديدة حين كتب كلمات بمناسبة دراسة له عن هملت ولكن المعادل الموضوعي، أصبح منذ ذلك الحين في نظر المهتمين بالأدب جزءاً مهما من نظرية إليوت النقدية".[2]

وذلك من ناحية أن هذه النظرية لم تكن بالشيء الجديد في الساحة النقدية وإنما ظهرت حين أصبحت التربة الفكرية والأدبية ممهد لظهورها.

"وقد أثر مفهوم **(المعادل الموضوعي)** على معظم النقاد التالين لإليوت:

ألن تيت، وإميلي ديكنسون، ورانسوم، مصطلح **(التوتر)** الذي بني عليه تيت نظرته الجمالية يستقي من المعادل الموضوعي، فإذا كانت (الملائمة) عند إليوت تكمن في

[1]- حسام الخطيب، **المرجع السابق**، ص403.

[2]- ينظر: المرجع نفسه، ص402.

تكافؤ الحقائق الخارجية مع الانفعال أو تطابق الانفعال مع الشيء الموضوعي، فعند تيت يكمن معنى القصيدة في توترها أي الوحدة والاختلاف بين المجرد والمحسوس".[1]

"أما بالنسبة لرانسوم ازدواجية **(النسيج والبنيان)** فالقصيدة عنه عالم مغلق على ذاته يعوضنا عن عالم المادة الصلب، كما أن النقد الذي يهتم بالبنيان الشعري هو موضوعي، والمعرفة التي يتم تحصلها من الشعر، تتميز عن المادة المستخلصة من النشر تميزا جوهريا، وبنيان القصيدة هو حجتها النثرية، ولكن ليس للقصيدة معنى مقرر بالبنيان فقط، وإنما لها أيضا معنى نسيجي يتبدى في سياق التفصيلات المتباينة غير المقررة".[2]

وعند "دون" و"إيميلي ديكنسون": « ليس هناك فكر كهذا أبدل، وليس هناك شعور، هناك ذلك الشعر الفريد من التجربة الذي هو في وقت واحد، ليس إياهما وكلاهما».[3]

"أما كلينت بروكس تستدعي فكرة إليوت عن المعادل الموضوعي ارتباطا موازيا: نحن كقراء للشاعر في عملية مشابهة لاكتشاف الشاعر مادته "الصنع ثانية من رموزه تجربة مجموعة مشابهة نوعا ما –في حالة– امتلاكنا للخيال– للتجربة المجموعة للشاعر نفسه.

وعنده تعد القصيدة كلا جماليا لا بديل له، والقيمة الشعرية لا تكمن فيما تقول القصيدة ولكن فيما تكونه القصيدة والقول أن الشاعر ينقل فيه ميل من تزيف الوضع، فالشاعر (صانع لا ناقل)، وطبقا لمفهوم المعادل الموضوعي الشاعر صانع شيء مادي يحاكي من تجربته، ونحن نشارك في التجربة إذا أتيح لنا أن نعرف الشيء".[4]

"هذه هي الأسس العامة الموضوعية التي نادى بها إليوت ومن جاء بعده، والواقع أن إليوت لم يكتفي بالتنظير النقدي لنظريته، وإنما تعدّى ذلك على تطبيق هذا المبدأ على نتاجه الشعري، وعلى الخصوص المسرح الشعري الذي ساعده في البعد عن التعبير الفردي".[5]

---

[1]– محمد عزام، **المرجع السابق** ، ص29.

[2]– المرجع نفسه، ص 29.

[3]– حسام، الخطيب، **المرجع السابق**، ص407.

[4]– المرجع نفسه، ص410.

[5]– المرجع السابق ، ص31.

"فالمعادل الموضوعي ومناسبة القول بأن إليوت قد تعدى به إلى المرحلة التطبيقية خاصة أن إليوت قد تعدى به إلى المرحلة التطبيقية خاصة أن إليوت كان ميالا إلى الجانب الشعري، فإن المعادل الموضوعي يتأثر إلى حد كبير بدرجة الشاعر فكلما كان الشعر أكثر غنى في معرفته أصبح أكثر قدرة في صنعته وذلك سر عظمة دانتي وشكسبير، ذلك أن الشاعر عن طريق ذكائه الفذ يكون في موضع القدرة على اختيار المعادل الموضوعي الملائم".[1]

"والواقع أن إليوت ظل اهتمامه محصوراً بالأوجه الثلاثة للعمل الفني والمتعلقة بتحويل الانفعال إلى موضوع مادي:

1- القصيدة كشيء قائم في ذاته:

أي العمل الفني كمعامل موضوعي أو انفعال لا يرضى أو يعبر عنه بل يجسَّم.

2- القصيدة في علاقتها مع الشاعر وعملية الخلق:

فالشعر ليس تعبيراً الشخصية، وليس "انفعالا مستعاداً في السكينة، وغنما هو تحويل مشاعر مختلفة إلى موضوع مركب جديد في ذهن الشاعر، ينبغي أن يكون واسطة مناسبة للمشاعر المختلفة ويبقى محايدا في العملية".[2]

3- القصيدة في علاقتها بالقارئ أو بالأثر الشعري:

"ومن الضروري تحقيق التكافؤ التام بين الانفعال وبين الشيء (الموضوع) أما إذا لم يحول الانفعال إلى الشيء أو يعادل به، فإن الانفعال الذي يحمل إلى القارئ يكون انفعال حياة لا انفعال فن".[3]

"وخلاصة القول أن إليوت يرى ضرورة الخطأ الشائع في تصور الناس وهو الخطأ القائل أن الشعر تجريد للعاطفة ذلك أن الشعر في الحقيقة هو مجموعة من النماذج تعادل

---

[1]- ت.س، إليوت، **فائدة الشعر وفائدة النقد**، مكتبة بغداد دار القلم بيروت ،لبنان ط1 1403 1986م ص 16.

[2]- محمد عزام، **المنهج الموضوعي**، ص145.

[3]- المرجع نفسه، ص145.

في موضوعيتها مشاعرنا العاطفية وهذه النماذج هي في عمومها من صنع الفكر المستحضر لشمولية التجربة الإنسانية".[1]

2- المعادل الموضوعي في النقد العربي:

تناقل نقاد العربية هذا المصطلح الذي ردده نقاد النقد الجديد في أوروبا وأمريكا، وكثرا استخدامه بين نقاد الخمسينات وحتى السبعينات من القرن، وظل هؤلاء يستخدمون مصطلح المعادل الموضوعي.

"الذي يبحث عنه الناقد ينتمي في عمل الأديب أو الشاعر إلى حقله المعرفي... يلتقطه الشاعر ليترجم أحاسيسه ومشاعره أو عن تجربته الشعرية عامة، معيدا تشكيله بخياله المبدع في صورة موافقة لتجربته".[2]

"ولم يقتصر اختلاف النقد العربي للمعادل الموضوعي على تجربته أو تعريبه فحسب وإنما تجاوز ذلك إلى رؤية نقدية مختلفة الدلالة والأهمية، وكيفية استخدامه والتعامل معه، ففكرة المعادل الموضوعي فكرة مناهضة للمد الرومانسي، وتمرد على الذاتية في الأدب والنقد الإنجليزي، فهو يرفض المفهوم الرومانسي حول الشعر وارتباطه بعاطفة الشاعر وذاتيته، فإذا كان الرومانسيون يرون أن الشعر تعبير عن الذات، فإن إليوت يرى أن الشعر على النقيض من ذلك، هروب من الذاتية".[3]

"وإذا كانت فكرة المعادل الموضوعي جديدة في ميدان النقد، إن ذلك لا ينفي وجودها في الأدب القديم، إن إليوت قد اِكتشفها من خلال دراسته لشكسبير ولكون المعادل الموضوعي مصطلحا نقديا حديثا فإن النقاد العرب قديما لم يشيروا له على الرغم من أن كثيراً من الأشعار تنطوي عليه".[4]

---

[1]- إليوت، **فائدة الشعر وفائدة النقد**، ص- ص16-17.

[2]- محمد زغلول، **النقد الأدبي المعاصر**، ص34.

[3]- أحسن دراس **مجلة الأثر**، مرجع سابق، ص37.

[4]- صالح مفقودة، **المعادل الموضوعي في الشعر الجاهلي**، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة بسكرة، ص14.

من خلال ما سبق يتبين لدينا أن فكرة المعادل الموضوعي لها جذور في الشعر العربي القديم لكن لم يتم الإشارة إليها كمصطلح قائم بذاته.

وإنما تجسدت في مجموعة من الأشعار وعلى سبيل المثال الأشعار العربية القديمة وخاصة الشعر الجاهلي.

"فيوسف اليوسف يرى أن إليوت لو أتيح له أن يدرس الشعر الجاهلي لوجد فيه أمثلة خصبة للمعادل الموضوعي".[1]

"أما بالنسبة لمحمد غنمي هلال فقد أشار أن لكل ناقد جهازه المصطلحي فقد ترجم المعادل الموضوعي إلى العربية بمسميات متعددة؛ مثل التبادل الموضوعي، المعادل الموضوعي، التبديل الموضوعي، الموضوعية المتقابلة، الترابط الموضوعي، وقد كان مصطلح المعادل الموضوعي أكثرها شيوعا وملائمة كما يقول عناد غزوان".[2]

"وأكثر المتحمسين لفكرة إليوت والمعادل الموضوعي هو رشاد رشدي ففي كتيبته (ما هو الأدب)، يعرض لبلاغة العمل الأدبي بمفهومها القديم، من حيث كونها التعبير الصادق عن إحساس صادق، ومن هنا ربط النقاد البلاغة بالأسلوب واعتبر أن الأسلوب البليغ هو الأسلوب الذي يعبر تعبيراً صادقاً عن شخصية الكاتب، وقد ظل هذا المفهوم سائداً إلى أن قام النقد الجديد بعد الحرب العالمية الأولى، فتغير وأعلن إليوت أن الفن ليس تعبيراً عن إحساس صادق مهما بلغ هذا الإحساس أو التعبير عن الصدق".[3]

"ورشاد رشدي يتبن نظرية المعادل الموضوعي تبيناً كاملا، فيعتبر البلاغة ليست في صدق الإحساس، أو في صدق التعبير أو في جمال الأسلوب أو إفصاح الأسلوب عن شخصية الكاتب وإنما في أن يخلق الكاتب معادلا موضوعيا للإحساس الذي يرغب في التعبير عنه، أو بعبارة أخرى أن يخلق الكاتب شيئا يجسم الإحساس ويعادله معادلة كاملة".[4]

---

[1]- المرجع السابق، ص14.

[2]-أحسن دراس **مجلة الأثر**، ص34.

[3]- محمد عزام، **المنهج الموضوعي**، ص77.

[4]- المرجع نفسه، ص78.

"ولأن التعبير المباشر عن المشاعر يدل على فشل الكاتب في الخلق فشلا يرجع أسبابه إلى عدم وجود المعادل الموضوعي، الذي يقوم مقام الإحساس، فعلى الكاتب أن يصور الإحساس أو الفكرة بدلا من الإخبار بها".[1]

"هكذا يعتمد رشاد رشدي آراء إليوت وتلميذته في المعادل الموضوعي والنقد الجديد، في تصوير الإحساس أو الفكرة بدلا من الإخبار بها".[2]

3- مقومات المعادل الموضوعي:

1- "إن القصيدة هي خلق، خلق موضوع ناتج عن تركيز تجارب الشاعر أي تحويل انفعال الشاعر إلى شيء جديد.

2- الشعر ليس تعبير مباشراً عن الشخصية إنه تعبير غير مباشر ليتأتي من خلال تركيز الشاعر الموضوعي على مهمته، وهي خلق شيء موضوعي على مهمته، وهي خلق شيء موضوعي جديد يكون بديلاً للشاعر، ومنهج المباشر في التعبير عن الانفعال يدل على عجز الشاعر عن الخلق، أو عن القبض على أي شيء يمكن أن يوجد بطبيعته الخاصة وبحقه الخاص بمعزل عن الشاعر.

3- الفنان الكامل هو الذي يستطيع أن يحقق انفصالاً أتم الرجل الذي يعاني، والعقل الذي يخلق، والفن عملية خلق موضوعية تتطلب قدرة على هضم وتمثل العواطف التي هي مادة الخلق".[3]

4- "اللغة في الحالة السليمة تمثل الشيء، وهي وثيقة الصلة بهذا الشيء...ويترتب على ذلك أن القصيدة هي التي تعرف نفسها بنفسها ولا يمكن للقارئ ولا الشاعر أن يعرف شيء تقوله القصيدة بعيدا عن كلمات القصيدة والقيمة الشعرية لا تكمن فيما تقوله القصيدة ولكن فيما تكونه.

- أي الشيء المادي الذي يجعلنا ندرك انفعال الشاعر الأصلي.

---

[1]- أحسن دراس، **مجلة الأثر**، ص58.

[2]- محمد عزام، **المنهج الموضوعي** ، ص 79.

[3]- المرجع نفسه، ص148.

5- انفعال الفن ليس شخصيا، أي أنه يتعلق بالقصيدة لا بالشاعر وهو لا يوصف بالمصطلحات العقلية والرمزية وإنما يترجم إلى موقف أو عمل ملموس يثير استجابة انفعالية...أي أن العمل الفني يجب أن لا يتضمن اندفاعات تزيد على ما هو مطلوب من أجل الوصول إلى الانفعال المنشود.

6- يترتب على ذلك أن القصيدة لها حياتها الخاصة ولها قوانين ومبادئ داخلية تنظمها والشيء الذي يقدم لنا في أي قصيدة لا يكون ولن يستطيع أن يكون شخصية الشاعر، إذ أننا في عملية التذوق نتعامل مع العمل الفني لا مع خالقه".[1]

لم يقتصر شعر الطبيعية على تقليد إخوانهم المشارقة والاحتذاء بهم إنما تجاوز ذلك إلى التجديد والابتكار في كثير من الصور الشعرية وتشخيص الطبيعة ومناجاتها وإضفاء الحياة عليها، كما أن شعر الطبيعة كان صادقا وجاء معبرا عما في نفوس أصحابها حيال بيئتهم، فكان للوصف أهمية كبيرة في شعر الطبيعة وذلك لأنه يأتي في أغراض الشعر ممتزجا بها وكان للموشح والزجل كذلك نصيب وافر من شعر الطبيعة فقد نظم فيها الشعراء قصائد متنوعة المواضيع، بالإضافة إلى نظرية المعادل الموضوعي والتي تكونت عند اليوت حتى أصبحت معيارا نقديا للشعر وشغلت الكثير من النقاد نظرا لأهمية هذه الفكرة حيث شاعت في كثير من كتابات اليوت النقدية بل إننا نجد ذلك عند غيره من السابقين وكذلك النقاد العرب كان لهم دور في الانشغال بهذه النظرية الجديدة.

[1]- حسام الخطيب، **جوانب من الأدب والنقد في العرب**، ص420.

الفصل الثاني:

تجليات المعادل الموضوعي في شعر الطبيعة الأندلسية

I- الطبيعة الصامتة والحية

II- الطبيعة المصنوعة

وجدت الطبيعة هوى في نفوس شعراء الأندلسي، وسحرت كل من هام في جمالها حتى أصبحت منبع لسرورها ومرتع لعيونهم، وأقبلوا عليها بشغف يتغزلون بها، ويتفنون في أوصافها، ويصورون كل ما وقع في أبصارهم فأحبوها وتعلقوا بها وبرعوا في تجسيدها فانعكست في مجموعة من أشعارهم من خلال لوحات شعرية.

"والشاعر بينه وبين الطبيعة محبة وألفه...، ولذا نجده دون سواء الرسول الذي يتلقى وحي الطبيعة فيستجيب لجمالها"[1]

ولذلك "ظهر أثر البيئة الطبيعة الجميلة في النتاج الأندلسي واضحا... فلقد وهبت الأدباء براعة في التصوير في أطر أدبية بديعة، تنعم بالحياة اللدنة، وتنبض بالأحاسيس المرهفة، ومن هنا دونوا مشاعرهم الفوارة وعواطفهم الجياشة تجاهها بصور موحية قوامها إثارة المشاعر وهيج الإحساس فحببوها إلى النفوس وعلقوا بها الأفئدة "[2]

I. الطبيعة الصامتة والحية:

لقد وجد شعراء الأندلس في الطبيعة الصامتة والطبيعة الحية، فتنة أسرة، فتنت الشعراء وندفعوا بشاعريتهم "فوصفوا رياضها وأزهارها وجبالها وسهولها، وليلها ونهارها كما استوقفتهم السماء بنجومها وكواكبها وغيومها وما تدور على الأرض من غيث ومطر، وما يصلها ويصاحبها من برق ورعد".[3]

"ولقد استقطبت مكونات المتحركة من الحيوانات والطيور اهتمام الشعراء الأندلس فاستلهموا من تلك الحيوانات ما يدعم تجاربهم الشعرية".[4]

فخلفوا لنا لوحات شعرية متمثلة في الطبيعة الصامتة والحية، وتجسد ذلك من خلال:

---

[1]- آزاد محمد كريم، **القيم الجمالية**، ص118.

[2]- مصطفي السيوفي، **تاريخ الأدب الأندلس**ي ص17.

[3]- صديق بتال حوران الساعدي، **ظاهرة المقطعات**، ص 99.

[4]- المرجع نفسه، ص117.

1- الروضيات:

"تعد الروضيات، أولى الموضوعات التي لفتت نظر شعراء الطبيعة الأندلسية فالرياض الجميلة المزركشة بالألوان المختلفة، فيها نور وأزاهير وشتا و عبير، وفيها حفيف الأشجار وتغريد الطيور، وفيها مياه صافية، ولقد استمد من عناصرها الساحرة آثار قد تركت بصمتها في نفسه ووجدانه ليجسد تلك العناصر كمعادل لما يختلج أحاسيسه ومشاعره"[1]

" بل عمد إضفاء الحياة عليها، ولونها بألوانهم النفسية الآتية"[2]

نجد ابن خفاجة قد جاء وصف الروض في شعره مكملا لأوصاف أخرى فإذا ما أثاره منظرا الروض جاء معه بالزهر والريح، ولأشجار

سَـــقِياً لِيَـــومٍ قَـــد أَنَخـــتُ بِسَـــرحَةٍ رَيّـــا تُلاعِبُهـــا الشَـــمالُ فَتَلعَـــبُ
سَـــكرى يُغَنّيهـــا الحَمـــامُ فَتَنثَنـــي طَرَبـــاً ويَســـقيها الغَمـــامُ فَتَشـــرَبُ
يَلهـــو فَتُرفَـــعُ لِلشَـــبيبَةِ رايَـــةٌ فيـــهِ ويَطلُـــعُ لِلبَهـــارَةِ كَوكَـــبُ
والـــرَوضُ وجـــهٌ أَزهَـــرٌ والظُـــلُّ فَـــرعٌ أَســـودٌ والمـــاءُ ثَغـــرٌ أَشـــنَبُ
فـــي حَيـــثُ أَطرَبَنـــا الحَمـــامُ عَشِـــيَّةً فَشَـــدا يُغَنّينـــا الحَمـــامُ المُطـــرِبُ.[3]

رسم ابن خفاجة لوحة شعرية معتمدا في ذلك على عناصر الطبيعية كمعادل لما يختلج في نفسه وكأنه جعل من الشجرة إنسانة تلعب مع الريح وتنثني سكرا على سماع غناء الأطيار وتعاطي حمرة المطر المتساقط، فهو بطريقة غير مباشر يأخذ من الطبيعة الصامتة مادتها وينفخ فيها ويخلق منها روحا مملوءة بالحركة والحياة.

فنظم الشعر لا ينبعث إلا عن إحساس، ولا يصدر إلا عن عاطفة و وجدان وللتعبير عن العاطفة هو إيجاد معادل موضوعي لها.

فهو يجعل من الروض حسناء موردة الخدين شعرها أسود متدلى على كتفيها ظل الشجرة الظليل، وبياض أسنانها صفاء مياه الجدول المنسابة بين جنبيه.

---

[1] - ينظر المرجع السابق، ص100.

[2]- محمد عويد، **المكان في الشعر الأندلسي**، ص71.

[3]- ديوان إبن خفاجة، ضبط نصوصه عمر فاروق، دار القلم، بيروت، لبنان ص35.

فابن خفاجة استعمل عناصر الطبيعة كمعادل موضوعي يعبر بواسطة عن العاطفة وذلك من خلال مسرة الروض الذي يبادله الشعور باعثا فيه الحياة والحركة.

ويقول ابن خفاجة:

وجَنَيــتُ رَوضــاً فــي قِناعِــكَ أَزهَــرا وقَضــيبَ بــانٍ فــي وشــاحِكَ أَثمَــرا

ثُــمَّ اِنثَنَيــتُ وقَــد لَبِســتُ مُصَــندَلاً وطَويـتُ مِـن خِلَـعِ الظَـلامِ معـن مُعَنبَـرا[1]

إن الشاعر إذا أراد أن يعبر عن إحساسه يبحث عن إيجاد صورة خارجية مشابهة لما في نفسه، أو كفيلة بنقل إحساسه مثل ما فعل ابن خفاجة فهو متلهف للقائه بمحبوبته وكذلك عن حب الشاعر لمحبوبته فقد جعل ابن خفاجة الصبح بلونه الأبيض الذي يشبه الصندل، و الليل بلون أسود الذي يشبه العنبر، مدركات حاسة اللمس.

2- الزهريات:

"وصف الأندلسيون الأزهار وأكثر ومن وصفهم لزهرة بعينها... فوصفوا الورد والنرجس والشقائق والنيلوفر والياسمين والقرنفل واللوز وغيرها مما وقع عليه عيونهم، غير أنهم لم يكثروا من عقد مجالس للأزهار المختلفة كذلك نجد أنهم يبتكرون أوصافا موضوعية جديدة".[2]

حدائق الأندلس زينتها أنواع مخلفة من الأزاهير، فأكسبت الطبيعة الأندلسية لوحة فنية تملئها أشكال وألوان زادتها جمالا وسحرا،ولكل من وقعت أنظارهم عليها فلقد كان لهذه الأنواع من الأزاهير تأثير كبير في قصائد الشعراء الأندلسيون لما كان لها عند ملوك الأندلس مكانة كبيرة فقد احتفلوا بالزهور، وكانت تزين بها قصورهم وحدائقهم ومجالسهم والشاعر بدوره مرافقا لكل هذه المظاهر الجذابة والمتألقة .

وفي وصف النرجس:

تجافــتْ بهــا عنّــا الحــوادثُ برهــة وقــد ســاعدتنا قهــوةٌ وحبيــبُ

[1]- المرجع السابق، ص115.

[2]- مصطفي الشكعة، **الأدب الأندلسي**، ص277.

وغازَلَنـــا جَفـــنٌ، هنـــاك، كنـــرجِسٍ، ومُبتَسَـــمٌ، للأقحُـــوانِ، شَـــنِيبُ.[1]

لقد مزج الشاعر بين الطبيعة الزهرة و الغزل وهو يتغزل بمحبوبته فالشعور مخبوء عند الشاعر في كلمات وعبارات وصور خاصة والمعادل الموضوعي حال أو موقف تكمن فيه عواطف أو مشاعر فهو اتخذ من جفونها التي تشبه زهرة النرجس تعلوها صفرة وبياض أسنانها المفلجة المضيئة التي تشبه زهرة الأقحوان في ابيضاضها و نورها وانتظام فلجاتها . فالشاعر في هذه اللوحة الشعرية يتخذ من عناصر الطبيعة وبطريقة رمزية معادل موضوعي لما هو متواجد في داخله ومن شواهد قول الرمادي:

تأمـــل بـــأثر الغـــيم مـــن زهـــرة الثـــرى حيـــاة عيـــون مـــتن قبـــل التغـــيم
كـــأن الربيـــع الطلـــق أقبـــل مهـــديا لطلعـــة معشـــوق إلـــى عـــين
تعجبـــت مـــن غـــوص الحيـــا فـــي حشـــا فأفشـــى الـــذي فيـــه ولـــم يـــتكلم
كـــأن الـــذي يســـقى الثـــرى صـــرف تـــنم عليـــه بالضـــمير المكـــتم[2]

العلاقة بين الصورة الداخلية للشاعر والصورة الخارجية مجرد علاقة تشابه بل علاقة امتزاج بين الذات والموضوع ففي فجوى هذه القصيدة الشاعر يخلع الحياة الإنسانية على الطبيعة، فيصور الأزهار عيونا تفتحت بالحياة بسبب المطر، بعد أن كانت ميتة بسبب الجفاف ويصور الربيع محبوبا طلق المحيا، قد جاء يهدي بجماله طلعة المعشوق، ثم يصور الأرض إنسانا يشرب من المطر خمرا تتغلغل في أعماقه فتذيع أسراره دون أن ينطق بها فقد أخذ الشاعر الأرض وكأنها تعبر عن سعادتها وبهجتها بالمطر فالمطر ومن خلاله تزدهر الأرض وتأخذ الألوان من مختلف أزهارها وأنوارها، وأعطارها بهجة وسرور فحياة الشاعر الخاصة لا يخفى تأثرها فهي تعادل الطبيعة لأن الشاعر كان كثير تجارب الحب وكذلك شديد التعلق بالخمر ولهذا يقيم علاقات حب في الطبيعة و يجعل الأرض حين تشرب المطر سكير، يحتسي الخمر، فتبدو وبهجته دون حديث كذلك للشاعر حديث عن الزهور وكيفية شرب الأرض من المطر كانت صورة الطبيعة التي هي معادل موضوعي لما في نفسه وتجاربه ومطابقة الموضوع لمقتضى الحال.

---

[1]- **ديوان ابن خفاجة**، ص40.

[2]- أحمد هيكل، **الأدب الأندلسي**، ص 299.

3-المتنزهات:

"أفاض الشعراء في وصف المتنزهات التي انتشرت في ربوع الأندلس، فلم تكد مدينة من مدنها تخلو من متنزه جميل، فاشتهر أشبيلية بمتنزهاتها الجميلة، كالعروس والسلطانية وشنتبوس، واشتهرت غرناطة بحور مؤمل" نجند وكانت هذه للمتنزهات ذات أثر كبير في حياة الأندلسيين، فكانوا يقصدونها للتشرد والمتعة والاستمتاع بمناظرها الجميلة ورياضها الفاتنة. وهكذا تأثرت حياة الأندلس بالمتنزهات إضافة إلى الشعراء فهي كانت ملجأهم، حيث يلهون فيه ويعبرون عن كل ما يجيش في صدورهم، فأصبحت متنفسا لهم يخلعون عليها هموم الحياة وكدرها".[1]

قال أبو الحسن الوقشي:

لله يـــوم بمـــرج الخـــزّ طـــاب لنـــا فيـــه النعـــيم بحيـــث الـــروض
ولـــــلإوزّ علـــــى أرجائـــــه لعـــــبٌ إذا جـرت بـدّدت مـا بيننـا الـدّرر
والشـمس تجـنح نحـو البـين مائلـةً كـأنّ عاشـقها فـي الغـرب ينتظـر
والكـــأس جائلـــةٌ باللـــبّ حـــائرةٌ وكلّنـــا غفـــلات الـــدهر نبتـــدر[2]

من المتنزهات الجميلة مرج الخز وقد رسم أبو الحسن الوقشي لوحة فنية جميلة تتوزع عناصرها بين الروض والغناء والأنهار و الجداول التي تسبح الأوز في مياهها العذبة ففي هذه الأبيات لا يمكن للأي كان أن يعرف أي شيء عن القصيدة بعيدا عن كلماتها، و لا تكمن القيمة الشعرية فيما تقوله القصيدة و لكن فيما تكونه ومن خلال العناصر الطبيعية التي وظفها الشاعر فهو تكلم في بيت من أبياته عن العشق فالشاعر قد وضع لوحته في إطار زمني وهو وقت الغروب ويعتبر هذا الوقت من أشهر ما تغنى الشعراء فيه خلع عن الشمس صفات إنسانية فجعلها كالفتاة التي تجنح نحو الغرب لموعد غرامي وكأن الشاعر بتعبير غير مباشر أراد الإفصاح عن انفعال وذلك بخلق شيء موضوعي جديد بديل للمشاعر.

[1]- فوزى عيسى، **الأدب الأندلسي (الشعر- الموشحات-النثر)**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر2012، ص 27.

[2]- المقرى، **نفح الطيب** ، ص 474.

4- المائيات:

"تنوعت مصادر الطبيعة المائية في لأندلس و اختلفت، من أنهار وغدران وبحار وقد فتنت، هذه الطبيعة شعراء لأندلس وزادت من قوة خيالهم فزادت مصادر إلهامهم في الشعر، فافتتنوا في وصفها وتصويرها في لوحات شعرية بديعة حافلة بالألوان ولأصباغ".[1]

ومن أبرز موضوعاتها الأزهار:

" فهي من الموضوعات التي أولى الشاعر الأندلسي ولعه فيها، إلا أنه غالبا ما كان يورد ذكره ضمن الروضيات أو المظاهر الطبيعية الأخرى، باعتبارها وبالنسبة للطبيعة سلسلة مترابطة لا يذكر عنصر إلا وكان مظهر من المظاهر قد رافقه، إلا أنها كانت تصور النهر باعتداله بصورة السيف أو الرمح أو مفصص تحت ضوء القمر، مذهب تحت أشعت الشمس".[2]

فهذا ابن حمديس يصف النهر قائلا:

ومُطَّـــرِدِ الأجـــزاءِ يصـــقل مَتْنَـــهُ صـبا أعلنـت للعـين مـا فـي ضـميرهِ
جـريحٌ بـأطراف الحصـى كلمـا جـرى عليهـــا شـــكا أوجاعـــهُ بخريـــره
كـــأن حبابـــاً ريـــع تحـــت حبابـــه فأقبـــل يُلقـــي نفســـه فـــي غـــديره
شـــربنا علـــى خافاتـــهِ دورَ ســـكرة وأقْتَـــلُ سُـــكْرا منـــه لَحْـــظُ مـــديره.[3]

يقدم الشعر مجموعة من الإحساسات، المتعلقة بالواقع وصعوبتها ثم بالمحاولة والجهد لتجاوز ذلك الواقع إلى الأفضل، يتخذ الشاعر رموز لغوية لتجاوز تلك الطريقة العادية في الإفصاح عما بداخله فهو مسوق إلى البحث عن سبيل للارتقاء وتجاوز الواقع لتحقيق غاية قد كان الانفعال هو الذي أثارها، ومن خلال الأبيات نجد أن الشاعر وهو يتحدث عن النهر قد حمله من المشاعر ما يعبر عن إسقاطات نفسه الحزينة، موظفا في ذلك بعض المظاهر الطبيعة، ففي البيت الثاني نجد جريانه فوق الحصى واحتكاكه بها، ثم خريره المنبعث جراء ذلك بعدا إنسانيا متمثلا تأوهات الكليم، وهي أوجاع الشاعر

[1]- ينظر: فوزي عيسى، **في الأدب الأندلسي**، ص77.
[2]- ينظر: صديق بتال، **ظاهرة المقطعات**، ص114.
[3]- إحسان عباس، ديوان ابن حمديس، دار صارة، بيروت، ص186.

وألامه الداخلية ومعاناته التي لا يريد لإفصاح عنها، لكننا من خلال صوره، فهي توصل إلى خيالنا شيئا أكثر من انعكاس متقن للحقيقة الخارجية، والتي باستطاعتها تحويل الانفعال إلى موضوع مادي فالنهر هو الشاعر وريح الصبا الهادئة هي ما يحيط بالشاعر لا يظهر أثرها على شكل الشاعر بقدر ما تفصح عن آلامه الداخلية ولعلها ترمز إلى العشق، إذ كثير ما تقترن ريح الصبا بالحب ولغرام، أما حصى فلعله الهموم التي تحيط بالشاعر وأحزانه جراء شيء ما قد أثر فيه أو غير ذلك.

وفي البيت الأخير يلجأ الشاعر إلى الخمرة لينهي هو الأخر أحزانه و مواجعه مثلما ألقى النهر بنفسه إلى الغدير الساكن متخلصا من تلك الأوجاع التي عاناها من منبعه إلى مصبه، فالشاعر بعد سقيه من تلك الخمرة ينتهي إحساسه بالوجود بعد أن يفقد وعيه، فالشاعر اتخذ من عناصر الطبيعة المعادل الموضوعي لمجموعة من الحالات التي كانت بداخله فهو ينظر إلى خرير النهر من منظار حزين .

5- الثمريات،الشجريات:

أما الثمار والفاكهة فلها ذكر في الشعر الأندلسي، لكن بشكل أقل من الأزهار، ولعل ذلك إلى أن الزهر شيء جمالي بألوانه ورائحته يثير في الشاعر أحاسيس لا تحركها الثمار التي هي غالبا ما تكون مادة طعام وتفكه وليست وسيلة زينة وتحميل. ولم يكن من الطبيعي أن يفتن الأندلسي بالروض والزهر من دون الثمار والفاكهة فهذه تملأ العين سحرا والنفس بحجة أيضا، وكانت مصدرا للإلهام وعنصر للجمال لشعراء الأندلس.

ولأحمد بن فرج الجياني وصف لرمانة قائلا:

ولابسة صدفا أحمر أتتك وقد ملئت جوهرا
كأنك فاتح لطيف تضمن مرجانه الأحمرا
حبوبا كمثل لثاث الحبيب رضابا إذا شئت أو منظرا
وللسفر تعزى وما سافرت فتشكو النوى أو تقاسي
بلى فارقت أيكها ناعما لطيفا وأغصانها نضرا.[1]

[1]- فوزي عيسى، **في الأدب الأندلسي**،ص65.

نلاحظ من خلال الأبيات وصف دقيق لمكونات حبة الرمان، فالشاعر تضجعه مجموعة من الأحاسيس، فهو اخذ للرمانة مجموعة من الصفات لإنسانية فهو يتخيلها قد لبست رداء من الصوف الأحمر وقد بدت حياتها كالجواهر ويشبه هذه الحبوب بلثات الحبيب، فيرها تشكوا الفراق بعد أن فارقت أغصانها والفراق هنا ميزة الإنسان ففي الفراق مجموعة من الأحاسيس التي تجعل الشاعر يبحث عن ما يعادل موضوعه وذلك من خلال تجسيد ذلك على حبة الرمانة التي فارقت أغصانها التي كانت تبعث فيها البهجة والروح وفي الفراق قد تختلف كل تلك الميزات، ومن هنا أصبحت الرمانة تكتسي من الصفات الإنسانية، وتعادل موضوع الشاعر وبطريقة غير مباشرة تفصح عن انفعاله.

وفي الحديث عن الشجريات يورد ابن خفاجة في قصيدته:

يـــا رُبَّ مائِسَـــةِ المَعـــاطِفِ تَزدَهـــي مِـــن كُـــلِّ غُصـــنٍ خـــافِقٍ بِوشـــاحِ
مُهتَـــزَّةٍ يَـــرتَجُّ مِـــن أَعطافِهـــا مـــا شِـــئتَ مِـــن كَفَـــلٍ يَمـــوجُ رَداحِ
نَفَضَـــت ذَوائِبَهـــا الرِيـــاحُ عَشِـــيَّةً فَتَمَلَّكَتهـــا هِـــزَّةُ المُرتـــاحِ
حَـــطَّ الرَبيـــعُ قِناعَهـــا عَـــن مَفـــرِقٍ شَـــمطٍ كَمـــا تَرتَـــدُّ كـــاسُ الـــراحِ
لَفّـــاءُ حـــاكَ لَهـــا الغَمـــامُ مُـــلاءَةً لَبِسَـــت بِهـــا حُســـناً قَمـــيصَ صَـــباحِ
نَضَـــحَ النَـــدى نُوارَهـــا فَكَأَنَّمـــا مِـــن كُـــلِّ غُصـــنٍ خـــافِقٍ بِوشـــاحِ
ولَـــوى الخَلـــيجُ هُنـــاكَ صَـــفحَةَ لَثَمَـــت سَـــوالِفَها ثُغـــورُ أَقـــاحِ.[1]

لم يحدد الشاعر الإطار المكاني للشجرة، و إنما راح يخلع على شجرته هذه صفات إنسانية أنثوية، فمع أن موضوع هذه القصيدة وصف شجرة فإن الشاعر له يذكر لفظ الشجرة، فالشاعر أراد أن يصفها وصفا غير مباشر أي أنه اتخذ من الصفات الأنثوية والتي تتصف المرأة بها معادل موضوعي للشجرة، فهي مزدهية بحسنها وتتمايل على جانبيها تيها بجمالها وقد ازدانت بأنضر الأزهار، وعندما تهب عليها الريح وتهز أغصانها تبدو أيضا كامرأة ممتلئة البدن مكتنزة الأرداف.

[1]– عمر فاروق، ديوان ابن خفاجة، ص70.

ولعل اتخاذ الشاعر للصفات الأنثوية والتي تعتبر اشارات أو رموز يعكس بها عقدته الجنسية التي يعاني منها الشاعر، من خلال صفات الشجرة، فالمعادل الموضوعي هنا يشكل حال، أو موقف تكمن فيه عواطف الشاعر ومشاعره.

6- الصخريات:

الجبل:

تغنى الأندلسيون بمظاهر الطبيعة الصامتة ومن أروع ما قيل فيذلك وصفهم للصخور، والجبال تجسيدها كأنها حية غير صامتة.

وقد كان للجبل عظمة قد اتخذ الشعراء من خلالها قوتهم فهو صامد أمام تقلبا الدهر في جميع حالاته.

"وشعراء الأندلس وجدوا في الطبيعة مرآة لأحاسيسهم ومشاعرهم فتناغموا معها شاكين، همومهم، وبائين آلامهم حرمانهم وحزنهم ومآسي معاناتهم آملين أن يستشعروا في ربوعها معاني الأمل والتفاعل الذي فقد من كثرة الحروب والفتن... لذا تمثل الطبيعة الملجأ الذي تهرب إليه نفس الشاعر عند فقده الصدق والتقييد و التذمر، فالشعراء عرفوا الطبيعة بكل مظاهرها فعاشوا فيها ولجئوا إليها في أصعب أوقاتهم".[1]

فابن خفاجة وهو يناجي هذا الصرح الشامخ قائلا:

بَعَيشِـــكَ هَـــل تَـــدري أَهـــوجُ الجَنائِـــبِ تَخُـــبُّ بِرَحلـــي أَم ظُهـــورُ النَجائِـــبِ
فَمـــا لُحـــتُ فـــي أولـــى المَشـــارِقِ كَوكَبـــاً فَأَشـرَقتُ حَتّـى جِئـتُ أُخـرى المَغـارِبِ
وحيـــــداً تَهـــــاداني الفَيـــــافي فَـــــأَجتَلي وجـــوهَ المَنايـــا فـــي قِنـــاعِ الغَياهِـــبِ
وحيـــــداً تَهـــــاداني الفَيـــــافي فَـــــأَجتَلي ولا دارَ إِلّا فـــــي قُتـــــودِ الرَكائِـــــبِ
ولا أُنـــــسَ إِلّا أَن أُضـــــاحِكَ ســـــاعَةً ثُغـورَ الأَمـاني فـي وجـوهِ المَطالِـبِ
ولَيـــلٍ إِذا مـــا قُلـــتُ قَـــد بـــادَ فَانقَضـــى تَكَشَّـفَ عَـن وعـدٍ مِـنَ الظَـنِّ كـاذِبِ
سَـــحَبتُ الـــدَياجي فيـــهِ ســـودَ ذَوائِـــبٍ تَكَشَّـفَ عَـن وعـدٍ مِـنَ الظَـنِّ كـاذِبِ

[1]- أزاد محمد كريم، القيم الجمالية، ص120.

فَمَزَّقتُ جَيبَ اللَيلِ عَن شَخصِ أَطلَسٍ تَطَلَّعَ وضّاحَ المَضاحِكِ قاطِبِ
رَأَيتُ بِهِ قِطعاً مِنَ الفَجرِ أَغبَشاً تَأَمَّلَ عَن نَجمٍ تَوَقَّدَ ثاقِبِ[1].

من خلال هذه الأبيات رسم صور مختلفة ومتعددة لما في نفسه،وهي تعيش حالة من الرهبة والقلق والحزن من الموت، فنرى هوج الجنائب ووجوه المنايا في قناع الغياهب وهذه الحالة النفسية المتأزمة القلقة جعلت الشاعر يختار وبطريقة غير مباشرة وقوة انفعال ناتج عن تجربة حسية الجبل الذي لا يخشى الموت ولا يرهبه معادلا موضوعيا فهو بين الحياة والموت، والفناء يرى أن النهاية قد اقتربت، وذلك من خلال التقدم في السن وهذا الأخير يدل على الضعف حتى الموت فالموت قريب ولا محال لذلك فهو بين الذكريات التي تشبه الشريط وهو يعيد تلك الأحلام الطفولية والشباب وحيويته وبين الوحدة والغربة الروحية التي أصبحت تزرع الألم في نفس الشاعر، فالإنسان تنضجه تجارب حسية هذه التجارب يستمدها من واقع حياته المدرك والمحسوس ومن ثم يتخذ من عناصر الأحداث والأشياء التي تحيط به معادلا موضوعيا لعناصر ذاتية عاطفية فكرية.

والتجربة التي يعيش الشاعر في لياليها الظلماء هي حقيقة، ولا بد من صبح وبنوره ينقذه من جديد ويدعوه إلى الحياة، ولكن تلك الليلة الظلماء قد سيطرت عليه وبتفكيره وحولته إلى إنسان حائر و قلق في وجه الزمن وقساوته

فالقصيدة تحمل مجموعة من الرموز اللغوية والمواقف كمعادل موضوعي، ومن هنا نلاحظ أن الأبيات التي جاءت فيما بعد للشاعر ابن خفاجة وهو يقول:

وأرعنَ طمّاحِ الذُؤابةِ بَاذخٍ يُطاولُ أعنانَ السماءِ بغاربِ
يَسدُّ مهبَّ الريحِ من كلّ وجهة ويزحمُ ليلاً شُهبهُ بالمناكب
ويزحمُ ليلاً شُهبهُ بالمناكب طوالَ الليالي مُفكِرٌ بالعواقِبِ
يلُوثُ عليهِ الغيمُ سُودَ عمائمٍ لها مِنْ وميضِ البرقِ حُمرُ

تظهر ومن خلال هذه الأبيات قوة الجبل متمثل في سده لمهب الريح فكل صفات القوة تتجسد في الجبل وهو بمثابة الرمز الذي يعادل تجربة الشاعر للصمود في وجه

[1]- ديوان ابن خفاجة، ص47-48.
[2]- المرجع السابق، ص48.

الدهر، ولكن هذا الجبل يتصف بالخلود وطول البقاء فكأنه هو كذلك يتمنى الموت فهذه الرؤية نابعة من تأزم نفسية الشاعر وقلقها،وفقدانه لأصحابه وبذلك أصبح الاغتراب والوحدة جوهر يشترك فيه الشاعر والجبل ومن خلال البيت يتضح ذلك:

فَمـــا خَفـــقُ أَيكـــي غَيـــرَ رَجفَـــةِ أَضـــلُعٍ ولا نَـــوحُ ورقـــي غَيـــرَ صَـــرخَةِ نـــادِبِ

ومـــا غَـــيَّضَ السُـــلوانَ دَمعـــي وإِنَّمـــا نَزَفـتُ دُمـوعي فـي فِـراقِ الصَـواحِبِ[1]

ففقدان الأصحاب والتقدم في السن وذهاب تلك الأيام التي تملئها الحيوية تجعل من تجربته توتر وقلق والرغبة في الموت على البقاء في الحياة بدون ما كان يملكه في وقت قد مضى.

فالشاعر اتخذ الجبل معدلا لمجموعة من تجاربه الحياتية وأن الموت التي هي في نهاية الأمر لا بد من الوصول إليها والشاعر قد تقمص شخصية الجبل وتستخدمه استخداما رمزيا، ليعبر عن ذاته القلقة، والمعاناة من جراء فقدانه لأصحابه واقتراب موته.

فقد عمد ابن خفاجة إلى تشخيص المعاني المجردة إلى صورة حية نابضة بالحياةفلم يترك صفة إنسانية إلا وخلعها على هذا الجبل الذي يقاسمه قلقه،ومن خلال الصور التي رسمها ابن خفاجة والتي ارتكزت على الخيال والعاطفة يتجلى وبوضوح التفاعل بين الذات والموضوع .

7- الظواهر الطبيعية:

"عندما يأمل الشاعر الأندلسي الطبيعة، يجد حوله نجوما وأقمارا وشمسا، وليلا ونهار، وبروقا فيوجه اهتمامه إليها، وعلى وفق ما تثيره من مشاعر، وقد تمتزج هذه الظواهر الجزئية مع بعضها، لتكون صورة متكاملة التأثير في نفس الشاعر، غير سم فتتفجر هذه الظواهر في لوحات شعرية ممتزجة بشعوره وقد تثير تلك المظاهر الجميلة في وجدانه من سرور، أو ربما تعكسه من أمور، تتجانس مع حالته العاطفية والنفسية".[2]

وفي ضوء ما طرح نجد الشاعر ابن عبد ربه قد حرك الليل مشاعره بقوله:

---

[1]- المرجع نفسه، ص49.

[2]- ينظر: صديق بتال، **ظاهرة المقطعات**، ص111.

بـــانوا بمـــن أهـــواهُ فـــي ليلـــة ردَّ علـــــى آخرهـــــا الأولُ
يـــا طُـــولَ ليـــلِ المُبتلـــى بـــالهوى وصـــبحُهُ مـــن ليلـــهِ أطـــولُ[1]

فالشاعر هنا اتخذ الليل كمعادل للموضوع الذي يختلج عواطفه فالليل هنا أثار شجونه، فكان طويلا قاسي، بامتداد زمني طويل ببعد نفس مظلم ألم بالشاعر ومن معه من العشاق بهموم ثقيلة تتناسب وثقل هذا الليل وطوله ومن هنا عادل ثقل الليل هموم الشاعر التي كانت تصاحبه فالشعور مخبوء عند الشاعر في كلمات وعبارات وصور خاصة وبطريقة غير مباشرة أفصح الليل عنها فالشاعر يتخذ من الطبيعة معادل الموضوع الذي يشغله وبطريقة رمزية يجد راحته وهو يعبر عنها لأن أغلبية الشعراء نجد في أشعارهم كلمات تلبسها أقنعة مختلفة

أما مروان بن عبد الرحمن فكان عاطفيا أكثر من غيره بقوله:

فكـــــأن الغمـــــام صـــــب عميـــــد أن بالرعـــــد حرقـــــة واشـــــتكاء
وكـــــأن البـــــرق نـــــار جـــــواه والحيـــــاة دمعـــــه يســـــيل بكـــــاء[2]

لقد اتخذ الشاعر من الغمام صبا، وفي الرعد حرقة وابتكاء، وفي البرق نار جوى، والمطر يسيل بكاء، يتضح من خلال الرموز التي اختارها الشاعر أن حالته النفسية غير ثابتة، ومن خلال هذه الرموز التي استعملها و استعان بها وذلك لأنه لم يرد الإفصاح عما بداخله فهذه الرموز التي رسم بها تلك الصورة الحزينة تدل كل منها على معادلة الموضوع الذي وبطريقة غير مباشرة وبطريقة بديلة للمشاعر و الانفعال الداخلي أراد التعبير عنه.

[1]– المرجع نفسه، ص111.
[2]– المرجع نفسه، ص 114.

ونجد في قول ابن خفاجة:

أبـــي البـــرق إلا أن يحـــن فـــؤاد ويكحـــل أجفـــان المحـــب ســـهاد[1]

يكمن معنى البرق في الشوق و الحنين وتوهج الذكريات و خفق القلوب وترقرق الدموع كل هذه المعاني تعبر عن حاله نفسيته، وقد عادل بها الشاعر موضوعه البرق والذي من خلاله تجسد موقف الشاعر أمام حرقة الشوق والحنين

"كما يبدو أن الشاعر الأندلسي كان مولعا بالرياح، لا سيما ريح الصبا، وهي تظهر من مطلع الشمس، وقد أكثر الشعراء من ذكرها لهبوب ها في أوائل الربيع،حيث يستوى الليل والنهار".[2]

يرى ابن هذيل:

للصَّـــبا منَّـــةٌ علَـــى الـــرّوضِ هادتـــه بطيـــــبِ الحبيـــــبِ أيَّ ذمـــــام
وجـــــرتْ بينـــــه رواحـــــاً ليرتـــــاحَ ويبقـــــى علَـــــى رضًـــــى والتئـــام
كالشـــفيقِ الَّـــذي يؤلـــف مـــا بـــين حبيبـــين بعـــدَ قطْـــعِ الكـــلام[3]

فقد كان لريح الصبا في الروض وهو يهب ويحرك أزهارها وأشجارها ما يشبه الذي يألف بين المحبين بعد قطع الكلام.

ومن خلال ما طرح الشاعر يتبين أن لريح الصبا علاقة بمشاعره وكأنه يعادله، ويشابهه في ذلك فهو يحي بين المتحابين الصلة بعد قطع الكلام كذلك هو حال الشاعر مع بمحبوبته

وقد تغنى الشاعر أحمد بن فرج الجياني فيقول:

ورُبَّـــتَ ريـــحٍ امتزجـــتْ بنفســـي مـــزاجَ المـــاءِ بـــالرّاحِ الـــزُّلالِ
وجـــدتُ لهـــا وبـــي للشّـــوقِ مـــا بـــي كمـــا وجـــد المهجِّـــرُ بـــالظّلالِ
وبـــات ثـــرى العقيـــقِ يـــنمُّ عنهـــا إلـــيَّ بمثـــل أنفـــاسِ الغـــوالي

[1]– ديوان ابن خفاجة، ص79.
[2]– صديق بتال، **ظاهرة المقطعات**، ص116.
[3]– المرجع نفسه، ص116.

فقــلْ فــي نشــوةٍ مــن نفــحِ ريــحٍ سُــقيتُ بهــا الشَّــمولَ مــن الشّــمالِ
ســرى فــي نــارِ أشــواقي ســراها إلــى جــذْبِ الثّــرى بحيــا العَزالــي[1]

تكتنز الشاعر مجموعة من المشاعر التي يملئها الأمل في لقاء من يحب فراح يصف هبوب الريح التي أثارت أشواقه وأحزانه ، وكأنه تداخل بين الذات والموضوع،كأن الريح قد امتزجت بنفسه امتزاج الماء بالراح حينما راح يأمل للقاء من يحب كذلك الذي يأمل في الظل وهو تحت شمسه الهجيرة يحترق، فالشاعر استطاع أن يجعل من الطبيعة ومظاهرها موضعا له وذلك من خلال أبياته الشعرية التي تحمل اللغة والرموز والمواقف من خلالها معادلا موضوعيا

وأنشد ابن سعيد،رحمه الله تعالي، لبعض المغاربة وهو أبو الحسن علي بن مروان الرباطي:

يــا نســيماً مــن نحــو تلــكَ النــواحي كيــفَ باللّــه نــور تلــكَ البطــاحِ
أســقَتها الغمــامُ ريّــا فلاحَــت فــي رداءٍ ومئــزَرٍ ووشــاح
آه ممــا لقيــت بعــدكَ مــن هــم مٍ وشــوقٍ وغربَــةٍ وانتــزاحِ
أســهرُ الليــل لســت أغفــي لصــبحٍ أَتُــرى النــومَ ذاهبــاً بالصــباحِ
قــد بــدا يُظهــرُ النجــومَ حليّــاً وهــو مــن لبسة الصبا فــي بــراح
وهــو مــن لبســة الصــبا فــي بــراح وجفــوني مــن ســهده فــي كفــاح
أيهــا الليــل لا تؤمّــل خلــوداً عــن قريــب يمحــو ظلامــكَ مــاح
ويلــوح الصــباح مشــرق نــور فيــه للمســتهام بــدء نجــاح
إن يــوم الفــراق بــدّد شــملي طــائراً ليتــه بغيــر جنــاح
حالــكُ اللــون شــبه لونــك فــاغرب عــن عيــاني يــا شــبهَ طيــرِ تــزاحِ
وإذا مــا بــدا الصــباحُ فمــا يــش بــهُ إلّا لــونَ الخــدودِ المــلاحِ[2]

---

[1]- محمد الكتاني، **التشبيهات**، ص37-38.

[2]- أحمد بن محمد المقري التلمساني، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر ويرها لسان الدين ابن الخطيب**، ج3، شرحه وضبطه مريم قاسم الطويل، يوسف علي طويل، **دار الكتب العلمية**، بيروت، لبنان، 1971 ، ص71.

لقد افتتح ابن سعيد قصيدته بمجموعة من الظواهر التي تتصف بها الطبيعة، حيث يسأل عن دياره وعن حالها بعد أن سقطت بيد العدو الإسباني، فهوي يخاطب الريح سائلا إياه عنها وما حل بها، و يسهر الليل حتى أنه لا يكاد ينام كذلك ذكره للنجوم، وقبل ذلك ذكره للغمام الذي من خلاله زادا اخضرار تلك الجزيرة التي الشاعر بصدد التحدث عنها وهي الجزيرة الخضراء ومعنى هذا من كثرة الغمام فيها، فالشاعر هنا تكتنزه عاطفة جياشة تختلج أعماقه نحوى تلك الجزيرة التي فارقها فهو ذكر شوقه وحنينه لها بأسلوب سلس أعطى فكرة عن الصورة التي رسمها الشاعر في قصيدته، فالعلاقة بين الصورة الداخلية للشاعر والتي هي تأمل الشاعر وهو يناجي الليل حتى يجمعه الصباح مع أهله ووطنه لأن الفراق أبعده عن أهله وأصحابه وبين الصورة الخارجية التي وظف الشاعر فيها لعناصر الظواهر الكونية هي علاقة امتزاج بين الذات والموضوع فالشاعر يصور حالته العاطفية ويعادل موضوعه بالحديث عن تلك الظواهر، التي ساعدته على تصوير هذه إلى احساسات التي عانى منها الشاعر وهي حبه لوطنه وحرقته على فراقها وفراق أحبابه.

"مثلما اهتم الأندلسيون بالطبيعة الصامتة اهتموا بالطبيعة المتحركة فهما وجهان لعملة واحدة، وهما يمثلان الحياة الطبيعة ويكملان بعضهما في خلق الكيان الجمالي الذي تميزت به الطبيعة الأندلسية وقد سار الشعراء الأندلسيون على نهج من سبقهم في مزجهم لهاتين العملتين عن طريق وصفهم لأشهر الحيوانات والطيور التي عرفوها وشاهدوها في زمانهم".[1]

8- الحيوان:

وقد جاء ابن هانئ في قصيدته قائلا:

وتَحِسبُ أطرَاف آذانِهَا يرَاعا يُرينَ بهَا المدَى
فهنَ مُؤللة" حتئرة" منددّة" لخفيّ الصّدى
تكادٌ نجس اختلاج الظنو ن بين الضملوع وبين الحشى
وتعلم نجوى قلوب العدى وسر الأحبّة. يوم النوى[2]

[1]- آزاد محمد كريم، **القيم الجمالية**، ص 135.

[2]- ديوان ابن هاني الأندلسي، دار بيروت، بيروت، 1400هـ-1980م، ص 21-22.

فهو جاء بوصف مبالغ فيه، لدقة سمع فرسه أضفى عليه غرابة وطرافة، إذ جعله يسمع حديث القلوب، فالشاعر هنا اتخذ للفرس معادل موضوعي وهو الإنسان فهو لم يعبر عن الموضوع بطريقة مباشرة بل استغل الفرس وزرع فيه صفات إنسانية كسماع حديث القلوب كذلك جعله يعرف سر الأحبة فكل هذه الصفات تعكس انفعال ربما كان الشاعر يريد أن يفصح عن شيء ما بداخله،

أما الرمادي فيذكر فيه جمال جواده وحسنه الذي زينه بألوان مختلفة وكأنه العروس يوم زفافها في قوله:

ومَعـــارضٌ للـــريح فـــي حَرّكاتـــه لـــولا اللجـــامُ لجـــال كُـــلَ مَجـــالٍ
ذو مَنظـــر حَسَـــن تَضـــمَنَ مَخبـــرا حَسَـــنا فَكـــانَ لزينـــة وقتـــالٍ
حَسُـــنَت بـــه الحَرَكـــاتٌ والمُعشُـــوقٌ لا يصـــبي لغيـــر براعـــة ودَلالٍ
ألقـــوا عَلَيـــهِ حَليـــهُ فبـــدا لنـــا فيـــه كمـــا تبـــدو العـــروس لجـــال
وكَأنمَـــا يُزْهَـــى بمـــا تَعلـــوهُ مـــن حلـــي فَيمشـــي مشـــيَةٌ المختـــال
حَطَمَـــت حَـــوافرْهُ السَـــلامَ صَـــلابَةٌ فكأنهـــا مـــن أوجـــه البخّـــال[1]

ومن خلال ما تخذه الشاعر من صفات إنسانية وهي العروس التي تطل بأحلى طلّة وهي تمشي يوم عرسها و تتباهى بجمالها وزينتها فهذه الصورة التي تمازج فيها الشاعر و جواده' فهذا الجواد يفتخر ويمشي بين الناس فالشاعر اتخذ من جواده صورة في غاية الجمال وكأن بينه وبين ذلك الجواد شيء مشترك أراد أن يعادل موضوعه بزينة العروس التي تلقى كل الأنظار عليها وهي في أحلى مظهر لها.

أما أبو إسحاق الالبيري فيأتي على ذكر ذئب في بيت شعر، قرنا إياه بالفقيه، فا لأول أسلم عند الشاعر من فقيه يطلب الدنيا ويبيع دينه يقول:

وكـــم مـــن ذئـــب تجـــاوره ولكـــن رأيـــت الـــذئب أســـلم مـــن فقيـــه[2]

والشاعر اتخذ ما يعادل انفعاله من الفقيه الذي يفقد إنسانيته ويصبح أسوء من الذئب فهو يعادل موضوعه بالذئب ولكن عن تجربة وعن معرفة ما قد تكون خطورة الذئب وهو المفترس قد يكون ذلك الفقيه أكثر منه، أما الأسد فهو حيوان مهاب ذو مكانة بين جنسه،

[1]- آزاد محمد كريم، **القيم الجمالية**، ص137.

[2]- المرجع السابق، ص141.

بمجرد ذكر الأسد يحظر لدينا القوة والرهبة والشجاعة وغيرها، وتسمى به، كثير من الملوك والعظماء والشجعان، فهو رمز للقوة والمكانة.

وابن زيدون يفتتح قصيدته بالفخر مسندا صفات الأسد لنفسه يقول:

أثـــرتَ هزيْـــرَ الثّـــرَى، إذْ ربـــضْ، ونبّهْتَـــــهُ، إذْ هـــــدا فـــــاغتمضْ
ومـــا زلْـــتَ تبسُـــطُ، مسترســـلاً، ومـــا زلْـــتَ تبسُـــطُ، مسترســـلاً،
حـــذارِ حـــذارِ، فـــإنّ الكـــريمَ، إذا ســـيمَ خســـفاً، أبَـــى، فـــامتعضْ
وإنّ الكَواكِـــــبَ لا تُسْـــــتَزَلّ؛ وإنّ المَقَـــــادِيرَ لا تُعْتَـــــرَضْ[1]

لقد استمد الشاعر هذه الصفات من الأسد ومن شجاعته فالصورة الي عادل بها الشاعر ما في نفسه هي القيم التي تخص الأسد، فالشاعر يشير في بيته الأول بالهزير، فهو يفخر بنفسه ويلوم أعداءه ومتوعد بعدم الرضوخ أو الخضوع فهو شعور مخبوء عند الشاعر في كلمات وعبارات وصور خاصة والتي مثلها بصفات الأسد.

أما فيما يخص الطيور ومن أشهرها الحمامة، نجد من الشعراء من يقارن حالة البكاء عنده بهذا الشجو الحزين للحمامة جاعلا منه بكاء أيضا.

فهذا أبو إسحاق الألبيري يجعل من الحمامة وشدوها الحزين عنصر ذا قيمة فجعله مشابها ومعادلا لبكائه لقوله:

أحمامـــــة البيـــــدا أطلـــــت بكـــــاك فبحســـن صـــوتك مـــا الـــذي أبكـــاك
إن كـــان حقـــا مـــا ظننـــت فـــإن بـــي فـــوق الـــذي بـــك مـــن شـــديد جـــواك
إنـــــي أظنـــــك قـــــد دهيـــــت بفرقـــــة مـــن مـــؤنس لـــك فارتمضـــت لـــذاك
لكـــن مـــا أشـــكوه مـــن فـــرط الجـــوى بخـــلاف مـــا تجـــدين مـــن شـــكواك
وإذا بكيـــــت ســـــألت ربـــــي رحمـــــة ومنـــــاي فـــــي الشـــــكوى منـــــال
وإذا بكيـــــت ســـــألت ربـــــي رحمـــــة وتجـــــاوزا فبكـــــاي غيـــــر بكـــــاك[2]

رسم الشاعر الحالة التي عليها مع هذه الحمامة فهو يبث من خلالها تلك الآلام فاستنفذ كل ما في تلك الحمامة دون ينفد ما في نفسه فهو في لأبيات الأولى تحدث عن بكاء الحمامة، أما في الأبيات الثلاثة لأخرى تحدث عن سبب بكائه هو، فبكاء الحمامة

---

[1]- ديوان ابن زيدون، **شرح يوسف فرحات**، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، 1415 هـ- 1994م، ص147.

[2]- آزاد محمد كريم، **القيم الجمالية**، ص141.

سببه فراق المؤنس الحبيب، تبكي لعل من يسمعها يوصل حالها فيحن ويتجاوب معها ولكن بكاء الشاعر من كثرة الذنوب ورجاء المغفرة من الله سبحانه وتعالى فهو الأمل الذي يتعلق به الشاعر، فالعلاقة بين الصورة الداخلية للشاعر والصورة الخارجية مجرد علاقة تشابه بل كانت علاقة امتزاج بين الذات والموضوع.

II. الطبيعة المصنوعة:

"نظر إلى الحياة الأندلسية الاقتصادية التي شاع فيها الرخاء المادي، وتحسنت وازدهرت الصناعة فتوسعت،وذلك من جميع النواحي، التجارية والعمرانية، الزراعية. "فلا يمكن الاعتماد كليا على مظاهر الطبيعة الصامتة أو الحية في مرافق الحياة كلها، فلا بد من صناعة تقوم هنا ومن آلة تقوم هناك لجعل هذه المظاهر أكثر نفعا وأكبر قدرة على فائدة الإنسان وتلبية حاجات".[1]

"فقد أثارت هذه المصنوعات اهتماما وإعجابا معا، وصارتا من روائع ما شهدته لأعين في تلك العصور لما اتصفت به تلك المصنوعات من عراقة الهندسة وإتقان البنيان وجمال الزخارف والنقوش وقد كان لهذه الجماليات تأثير خاص في مجموعة من الشعراء.

"وكما تعنى الشعراء بطبيعة الأندلس الحية والصامتة نراهم قد تغنوا كذلك بوصف الطبيعة الصناعية".[2]

والفنان هو أكثر طبقات المجتمع رهافة في استقبال مظاهر الطبيعة، ثم وبعد عملية الاستقبال تلك تتم عملية الإبداع، فيأخذ كل شاعر تلك المظاهر بطابعه الخاص والتي تميزه عن غيره، فيقوم الشعراء بتصوير الطبيعة بشكل مباشر أو غير مباشر،وهذا الأخير هو ما يعتمد على الرمزية في انشاء قصيدة يسودها التشويق في معرفة ما يعادل موضوعها.

[1]– محمد عويد، **المكان في الشعر الأندلسي**، ص84.

[2]– عبد العزيز عتيق، **الأدب العربي في الأندلس**، ص313.

1- الدولاب:

هو الذي يمنح الماء من النهر والجدول أنين وحنين وهذا الأنين مصدر سخاء، وإعطاء لقريحة الشعراء كل يستوحي منه معنى يريدأن يسبق غيره وأحسن تمثيل لذلك أبيات لابن سعيد الخيري الأنصاري قائلا:

لله دولاب يفـــــــيض بسلســـــــل فـــي روضـــة قـــد أينعـــت أفنانـــاً
قـــد طارحـــت فيـــه الحمـــام بشـــجوها ونحيبهـــــا فترجـــــع الألحانـــــاً
فكأنـــــه دنـــــف يطـــــوف بمعهـــــد يبكـــي ويســـأل فيـــه عمـــن بانـــا
ضـــاقت مجـــاري طرفـــه عـــن دمعـــه فتفتحـــــت أضـــــلاعه أجفانـــــا[1]

فإن سعيد الخيري يأتي بأبيات حوت على رائق من الخيال وكل بديع من المعاني، وكان لخياله من الخصوبة والسعة والانفتاح بحيث الحمائم تطارح الدولاب شجوا، وجعل الدولاب محبا دنفا يبحث في مكانه لصول حركته ودورانه، عن أحبابه رحلوا ولم يقع لهم على أثر فيحكي و لكن عندما ضاقت مأقيه، عن فيض الدمعة تفجرت دموعه من ضلوعه فا العلاقة بين الصورة الداخلية للشاعر والصورة الخارجية مجرد علاقة تشابه فالشاعر بينما هو يرسم في خياله صورة عن الدولاب وما حوله هناك امتزاج بين الذات والموضوع فعادل حال الدولاب لحال الشاعر هناك تشابه بين نفسية الشاعر وحالة الدولاب حين تقذف الماء بضيقة الشاعر، تتفجر دموعه وكأنها من ضلوعه.

2- البنيان:

وكان الناصر يردد أبيات قائلا:

همـــــم الملـــــوك إذا أرادوا ذكرهـــــا مـــــن بعـــــدهم فبألســـــن البنيـــــان
أومـــا تـــرى الهـــرمين قـــد بقيـــا وكـــم ملـــكٍ محـــاه حـــوادث الأزمـــان
إنّ البنـــــاء إذا تعظـــــم شـــــأنه أضـــحى يـــدلّ علـــى عظـــيم الشـــان[2]

من خلال الأبيات نجد أن الشاعر قد ذكر البنيان، البناء ففي هذه المفردتين يتضح معنى آخر يدل على السلطة والقوة والنفوذ، ففي هذه الأبيات يردوا الشاعر صورة للبناء

[1]- مصطفي الشكعة، **الأدب الأندلسي**، ص325.

[2]- ابن سعيد الغرناطي، **المغرب في حلى المغرب**، ص 120.

والملوك، وكذلك ذكر الهرمين هو لا يقصد من هذا أنها أشياء مادية فقط، بل هو يقصد بذلك معنى عميق للخلود والبقاء عبر الأزمنة والعظمة فالمقصود من الهرمين كذلك الشموخ والمكان المرتفع ، وبذلك لتخلد أمجاد الملوك عبر السنين، فالشاعر بطريقة غير مباشرة يرسم بألفاظه صورة عن فخامة الملوك، وتلك الماديات التي تدل على البناء والشاعر يعبر بها عن مدى حب الملوك في شيوع أسمائهم عبر التاريخ فهم ينفقون أموال طائلة في بناء القصور وتزينها لتخلد هذه المعالم وكذلك أسماء الملوك معها، كما بقت الأهرامات في مصر فالصورة التي برزت من خلال الأبيات الشعرية فكرة واضحة عن حب السلطة والشيوع والقوة فقام الشاعر بتطبيقها على الشعر، بالإضافة إلى التصوير الواقعي الخارجي ومعادلته بما هو داخلي نفسي.

3- البركة:

وهذا ابن وهبون يصف بركة وعليها زهور النيلوفر التي تنمو على البرك والمياه الراكدة بكثرة فيقول فيها:

وبركـــــةٍ تزهـــــو بنيلـــــوفرٍ، نســـيمها يشـــبه ريـــح الحبيـــب
حتـــــى إذا الليـــــل دنـــــا وقتـــــه ومالـــت الشـــمس لوقـــت المغيـــب
أطبـــــق جفنيـــــه علـــــى جيبـــــه وغـاص فـي البركـة خـوف الرقيـب[1]

كثير ما تنمو أزهار النيلوفر على البرك فتزين شكل البركة بمنظرها فهي تغطي سطح الماء بأوراقها الخضراء المسطحة، التي تعلوها الأزهار البيضاء ذات الرائحة الطيبة، ومن هنا يتضح المعادل الموضوعي لما هو في نفس الشاعر، فهذه الرائحة تشبه الرائحة الطيبة للحبيب وتذكره بها والذي يطيب وصله في المساء، كما تفعل الأزهار إذا حان وقت الغروب، وحل وقت الوصال، اختفت عن الأنظار وغاصت في الماء مخافة الرقيب، فأفضى الشاعر على النيلوفر أشياء من العاطفة الإنسانية فهي تغمض جفنيها لتستر الحبيب من أعين الرقباء، فزهرة النيلوفر تعتبر رمز ومن خلال صفاتها ونموها على البرك فهي تعطي الشاعر مساحة خيالية ينبعث منها إحساس يصدر عن عاطفة ووجدان لما رسمه الشاعر لحالة النيلوفر ونموه على البركة.

[1]- صلاح الدين خليل بن أيك الصرفي، **الوافي بالوفيات**، ج1، تحقيق أحمد الأرنأووط، و تركى مصطفي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2000، ص34.

4- الزورق:

أما عن الزوارق فقد قال ابن سفر (المئة السادسة) عنها وأحس في وصفها بقولها:

لـــو أبصـــرت عينـــاك زورق فتيـــه يبـــدي لهـــم لهـــج الســـرور مراحـــه
وقـــد اســـتداروا تحـــت ظـــل شـــراعه كـــل يمـــد بكـــأس راح راحـــه
لحســـبته خـــوف العواصـــف طـــائراً مـــد الحنـــان علـــى بنيـــه جناحـــهُ[1]

من خلال هذه الأبيات الشعرية نجد أن الشاعر يرسم صورة مرئية لزورق فتية المتمثلة في نزهة يملئها الفرح ونجد في البيت الأخير، وضوح للصورة التي شكلت للشاعر معادل لما في نفسه بإبراز فكرة بصورة واضحة وتطبيقها على الشعر وهي كالبديل الذي يصب فيه الشاعر ما هو بداخل نفسه، ويمزج في ذلك نزهة في زورق متخذا منه ومن الطائر الذي مد جناحه حنانا وخوفا على بنيه الصغار، فالشاعر حلق بهذا التشبيه إلى خيال بعيد، ورسم صورة حسنة من حيث الوصف الآني لمنظر الفتية ومنظر الزورق فهي المشاعر التي تعتلي الأب و كذلك الحيوان خوفا على صغاره من الخطر القادم وقال ابن عباد يصف فوارة، قد سلمت لهم من صافي مائها سينقاد جرد من غمده، ليلمع لهم كأنه الفضة:

ولربمـــا ســـلت لنـــا مـــن مائهـــا سـينا وكـأن عـن النـواظر مغمـدا
طبعتـــه لحيـــأ فـــذابت صـــفحت منـــه ولـــو حمـــدت لكـــان مهنـــدا[2]

يرسم ابن عباد لوحة شعرية، عن الماء ولمعانه، وكأنه يشبهه عند انحنائه واندفاعه من النافورة إلى البركة بالسيف الفضي، فهو يعادل قو اندفاع الماء والشكل الذي يرسمه نفس الشكل الذي يتصف به السيف.

إلا أنه يذوب في صفحة الماء، ولو جمد في مكانه، لكان سيفا من صفاء منظره الفضي، والشاعر عادل تلك الصفات التي أخذتها النافورة والبركة وطريقة اندفاع الماء فيها بالسيف الذي كان في خيال الشاعر وتشكل من خلال التشابه القائم بينهما

[1]- محمد عويد، **المكان في الشعر الأندلسي**، ص97.

[2]- **ديوان المعتمد بن عباد**، محقق حامد عبد المجيد، أحمد بدوي، دار الكتب المصرية، قسم1، ص 29.

استطاع شعراء الطبيعة الأندلسية في كثير من قصائدهم، أن يربطوا الحالات العاطفية والوجدانية النفسية بتلك البيئة الوافرة والغنية، التي أخضعوها لمقوماتهم الحسية العميقة، وتصويرها وتجسيدها على نحو إنساني تملؤه الحركة والنشاط، واندماجهم مع الطبيعة كان واضحا في كثير من القصائد الشعرية، التي تمثل تعلق الشعراء الأندلسيين بيئتهم وتفضيلها، عن غيرها من البيئات، ويظهر هذا الولع في: روضياتها وزهرياتها وثمرياتها ومائياتها ومعطيات الحياة الكونية كما أبدعها الله تعالى وكذلك يصفون ما أبدعته اليد الإنسانية من حضارة، قصور وبرك وأحواض وعمران وغيرها، فهذا التجاوب النكري والتآلف الشعوري يحول الطبيعة إلى معادل موضوعي في شكل لوحات شعرية بارعة الرسم أنيقة اللون، محكمة الضلال زاهية الأصباغ.

خاتمة

خاتمة:

بناء على ما تقدّم من دراستنا للطبيعة معادلا موضوعيا في الشعر الأندلسي، توصلنا إلى جملة من النتائج أهمها:

1. إذا كانت العديد من الدراسات والأبحاث قد تناولت الشعر الأندلسي ممثلا في شعر الطبيعة الزاهية ووصفها، وتخصص كل منها في ميزاته، فإن هذه الدراسة المتواضعة قد حاولت أن تسلط الضوء على طائفة من صور الطبيعة الأندلسية الخصبة المتفجرة في الشعر الأندلسي والتي مثلت نظرية المعادل الموضوعي بكل حذافيرها، فانتقينا من كل شاعر نموذج يجسد هذه النظرية.
2. أن البيئة الأندلسية كانت أغنى البقاع منظرا وأوفرها جمالا فقد احتفى شعراؤها بوصف الطبيعة في لوحات شعرية بارعة الرسم، أنيقة الألوان محكمة الظلال زاهية الأصباغ.
3. لم تكن البيئة الأندلسية بفتنتها وجمالها، العامل الوحيد في ظهور شعر الطبيعة وتطوره بل كان حب الأندلسيين الشديد لبلادهم، وتعلقهم بكل ما يمت إليها بصلة عاملا مهما في تصوير كل ما اشتملت عليه من مظاهر.
4. شعر الطبيعة في الأندلس، تصوير حي لطبيعة هذه البلاد الخضراء سواء الحية منها أو المصنوعة، وهي صورة ناطقة أيضا لما وصلت إليه الحضارة من توسع وتطور.
5. بالرغم من أن شعراء الطبيعة الأندلسية بدؤوا تلامذة لأساتذتهم المشارقة في أول الأمر إلا أنهم ما لبثوا أن تقدموا عليهم وتجاوزوا ذلك إلى التجديد والابتكار في كثير من الصور الشعرية.
6. تقوم نظرية المعادل الموضوعي على أن العمل الفني خلق ناتج عن تحويل انفعال الشاعر، لأن مشاعره وعواطفه هي المعين الأساسي الذي يلتقط منه أفكاره وصوره، والفنان الحق هو الذي يعبر عن شخصيته في القصيدة تعبيرا غير مباشر، ومهمة الشاعر تكمن في خلق شيء موضوعي جديد يكون بديلا من المشاعر، فيتخذ لعناصر ذاته العاطفة والفكرية معادلا من عناصر الطبيعة والأشياء.

7. كما أن نظرية المعادل الموضوعي ومن خلال توظيفها في شعر الطبيعة جعلت الشاعر يلجأ إلى إنشاء صورة حسية، تجسد العاطفة وتصورها من خلال التعبير الكلامي، بطريقة تكون فيها الطريقة الحسية المنشأة معادلة للعاطفة التجريبية.

6. شعر الطبيعة أخذ من عناصر الطبيعة الحية والصامتة والمصنوعة مادته وموضوعاته من مظاهرها وظواهرها.

8. وصف الطبيعة عند شعراء الأندلس متصل بالغزل والخمر لذا نجدهم يستخدمون الطبيعة كمعادل موضوعي للمرأة والحب، فالمرأة عندهم صورة من محاسن الطبيعة والطبيعة تجد في المرأة ظلها وجمالها، فكانت العلاقة شديدة بين جمال المرأة وبين الطبيعة، فلا تذكر المرأة إلا وتذكر معها الطبيعة.

9. وقد انعكست الحالة النفسية للشاعر على الطبيعة، فهي ضاحكة طروب في أوقات السرور والبهجة، باكية حزينة في أوقات الألم والشدة، فقد عني الشعراء الأندلسيون بتشخيص الطبيعة ومناجاتها، وإضفاء الحياة عليها.

10. لقد طغى وصف الطبيعة على جميع جوانب الشعر عند شعراء الأندلس وفي جميع أغراض شعره من ومن خلال الخيال يصنع الشاعر عالما جميلا نابضا بالحياة والحركة لما يحدث بين الشاعر والطبيعة من حوار، فيستنطق الجماد ويبعث الروح فيها، فرسم لنا أجمل الصور ونقل لنا أعظم العبارات بطريقة رمزية خالية من التقرير والمباشرة.

11. لقد وقف شعراء الطبيعة الأندلسية بصورة عامة على الطبيعة الحية والصامتة أكثر من الطبيعة المصنوعة، وذلك لما وجدوا في الطبيعة تأجج في نفوسهم فهم انفعلوا بها أكثر وحضور تلك العاطفة المتوهجة التي تنبض بالحياة، وتفيض بالمشاعر فكانت مشاركة وجدانية رائعة.

12. أهم ما يميز المعادل الموضوعي في شعر الطبيعة الأندلسية، هو التركيز على الرموز التي يبتعد من خلالها الشاعر عن التصريح المباشر عما يشعر به بل يبدع في ذلك عن طريق بديل يصب فيه الشاعر لما في نفسه.

13. كانت جل الصور التي رسمها الشعراء هي المعادل موضوعي لما في داخلهم بل كانت امتزاج بين الذات والموضوع.

كانت هذه أهم النتائج المتوصل إليها، نرجو أن نكون قد وفقنا في هذا البحث المتواضع وهو في ألأخير يفتح مجالا رحبا لمجموعة من البحوث المستقبلية القادرة على استجلاء مكامنه ومضامنه.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر:

01)- ديوان المعتمد بن عباد، محقق حامد عبد المجيد، أحمد بدوي، دار الكتب المصرية، قسم1.

02)- أبي عبد الله محمد بن الكتاني الطبيب، كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان.

03)- ديوان ابن حمديس، إحسان عباس، دار صارة، بيروت.

04)- ديوان إبن خفاجة، ضبط نصوصه عمر فاروق، دار القلم، بيروت، لبنان.

05)- ديوان إبن خفاجة، ضبط نصوصه عمر فاروق، دار القلم، بيروت، لبنان.

06)- ديوان ابن زيدون، شرح يوسف فرحات، دار الكتاب العربي، بيروت،ط1415،2هـ-1994م.

07)- ديوان ابن هاني الأندلسي، دار بيروت، بيروت، 1400هـ-1980م.

قائمة المراجع:

08)- ابن سعيد المغربي، المغرب فيحي المغرب، ج1، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف، بمصر، ط2.

09)- ابن قتية أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينتوري، عيون الأخبار، تحقيق: محمد الإسكندراني، دار الكتاب، العربي، د.ط، لندن، 1976.

10)- أبو الوليد سماعيل بن عامر الحميري، البديع في وصف الربيع، معهد العليا المغربية، ط1، الرباط، 1940.

11)- أحمد بن حسن الزيات، وحي الرسالة، ج1، دار النهضة، مصر، ط6، 1963.

12)- أحمد بن محمد المقري التلمساني، نفح الطبيب من غصن الأندلس الرطيب، ج 1 تحقيق : إحسان عباس، دار صادر، بيروت، د.ط، 1968 .

13)- أحمد بن محمد المقري التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر ويرها لسان الدين ابن الخطيب،ج3 ، شرحه و ضبطه مريم قاسم الطويل، يوسف علي طويل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1971.

14)- أحمد هيكل، الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة، دار المعارف، القاهرة، 1985.

15)- آزاد محمد كريم الباجلاني، القيم الجمالية في الشعر الأندلسي-عصر الخلافة والطوائف، دار عياء للنشر والتوزيع، ط1، 2013.

16)- أزهار الرياض في أخبار عياض، شهاب الدين أحمد التلمساني، تحقيق: عبد السلام المراس وسعيد أحمد عراب، إشراف اللجنة المشتركة نشر التراث الإسلامي بين حكومة المغرب حكومة دولة الإمارات.

17)- ت.س، إليوت، فائدة الشعر وفائدة النقد، مكتبة بغداد دار القلم بيروت لبنان ط1 1403 1986م .

18)- جودة الركابي، الطبيعة في الشعر الأندلسي، مكتبة الأطلسي، دمشق.

19)- حسام الخطيب، جوانب من الأدب والنقد في العرب، منشورات دمشق، ط5، 1993 1994.

20)- حنا الفاخوري، الموجز في الأدب العربي وتاريخه، مجلد3 ، دار الحيل، بيروت، ط3، 2003.

21)- صديق بتال حوران الساعدي، ظاهرة المقطعات (في الشعر الأندلسي)، دار غيدام، ط1، 2014.

22)- صلاح الدين خليل بن أيك الصرفي الوافي بالوفيات، ج1، تحقيق أحمد الأرنأووط، و تركى مصطفي،دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2000،.

23)- عبد العزيز عتيق، الأدب العربي، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، د.ط.

24)-عمر إبراهيم توفيق، الوافي في تاريخ الأدب العربي في الأندلس، جامعة كركوك العراق،ط1، 2012.

25)- فوزي خضر الباطن، عناصر الإبداع الفني في شعر ابن زيدون، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، الكويت، 2004.

26)- فوزي عيسى، الشعر الأندلسي في عصر الموحدين، دار الوفاء الإسكندرية، ط1، 2007.

27)- فوزي عيسى، في الأدب الأندلسي، دار المعرفة الجامعية للطبع والنشر والتوزيع، الإسكندرية، 2009.

28)- لمياء عبد الحميد القاضي، مرجعية الصورة في شعر الطبيعة في النصف الثاني من القرن الهجري- نحو اعتماد المرجعية أساساً تقديا، مكتبة الآداب ، القاهرة، ط1، 2012.

29)- لويس شيخو اليسوعي، مجاني الأدب في حدائق العرب، دار المشرق، بيروت، 1957.

30)-محمد زغلول سلام، النقد الأدبي المعاصر، ج1، منشأة المعارف الإسكندرية، جلال حزى وشركاه.

31)- محمد عباسة، الموشحات والأزجال الأندلسية وأثرها في شعر التروبادور، دار أم الكتاب، ط1433،1هـ 2012م.

32)- محمد عبد المنعم خفاجي، الأدب الأندلسي التطور والتجديد، دار الجيل، بيروت، ط1214هـ 1992م.

33)- محمد عزام، المنهج الموضوعي، مطبعة اتحاد كتاب العرب، دمشق، د.ط، 1989.

34)- محمد عويد محمد ساير الطربوي، المكان في الشعر الأندلسي من عصر المرابطين حتى نهاية الحكم العربي (484-897هـ)، دار الرضوان، مؤسسة دار الصادق الثقافية، ط1، 2012.

35)- مصطفى الشكعة، الادب الأندلسي (موضوعاته وفنونه)، دارالعلم للملايين بيروت لبنان .

36)- منجد مصطفى بهجت، الأدب الأندلسي (من الفتح حتى سقوط غرناطة)، دار اليقوت، عمان، الأردن، ط2، 2006.

37)- سيد نوفل، شعر الطبيعة في الأدب العربي، مطبعة مصر، القاهرة، 1940.

38)- فوزى عيسى، الأدب الأندلسي (الشعر- الموشحات-النثر)، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر2012.

39)- محمد بن عبد المنعم، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: حسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، 1975.

المجلات:

40)- صالح مفقودة، المعادل الموضوعي في الشعر الجاهلي، مجلة كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة بسكرة.

41)- أحسن دراس، المعادل الموضوعي في النقد الأنجلوا أمريكي الجدي، جامعة الإخوة منتوري، قسنطينة، الجزائر، مجلة الأثر، العدد 26 سبتمبر 2016.

فهرس

المحتويات

الشكر والعرفان

الإهداء

مقدمة 3

مدخل: البيئة الأندلسية وانعكاسها على الشعر ..... هـ

I. جغرافيا الأندلس:..... 6

II. أثر البيئة الأندلسية في الشعر: 8

1- البيئة المكانية الطبيعية: 8

2- البيئة المكانية الصناعية:..... 11

الفصل الأول: لمحة عن شعر الطبيعة في الأندلس 17

I. بواكير شعر الطبيعة في الأندلس:.....18

II . تفجر الطبيعة في لوحات الشعر الأندلسي:.....21

1- الطبيعة في الشعر الأندلسي: 22

2- وصف الطبيعة:.....24

3- علاقة الطبيعة والموشح: 28

4- علاقة الطبيعة والزجل: 30

III.نظرية المعادل الموضوعي:.....31

1- مفهوم المصطلح عند إليوت: 31

2- المعادل الموضوعي في النقد العربي: 36

3- مقومات المعادل الموضوعي:.....38

الفصل الثاني: **تجليات المعادل الموضوعي في شعر الطبيعة الأندلسي**.....**40**

I. الطبيعة الصامتة والحية: 41

1- الروضيات: 42
2- الزهريات: 43
3-المتنزهات: 45
4- المائيات: 46
5- الثمريات،الشجريات: 47
6- الصخريات: 49
7- الظواهر الطبيعية: 51
8- الحيوان: 55
II. الطبيعة المصنوعة: 58
1- الدولاب: 59
2- البنيان: 59
3- البركة: 60
4- الزورق: 61
خاتمة 63
قائمة المصادر والمراجع 68
فهرس المحتويات 73
الملخص

ملخص

الملخص:

تناولت الدراسة التي بين أيدينا موضوع الطبيعة معادلا موضوعيا في شعر الأندلسي في محاولة للكشف عن الجوانب العميقة في لوحات الشعر الأندلسي

وقد جاءت الدراسة بعد مقدمة في مدخل وفصلين وخاتمة ،ورأينا أن يكون المدخل لدراسة أهمية الموقع الجغرافي كذلك البيئة الطبيعية والصناعية، وكيف تفنن فيها شعراء الأندلس وتناولنا في الفصل الأول بواكير شعر الطبيعة ثم كيف تفجرت الطبيعة في لوحات الشعر الأندلسي. والكشف عن طريقة عرض موصوفاته، أما بالنسبة للمعامل الموضوعي وأهميته تكمن في التعريف بالمصطلح عند إليوت النقاد الغربيين والعرب كذلك أما الفصل الثاني فهو فصل تطبيقي تتناولنا فيه أهم مضامين الطبيعة الحية والصامتة والصناعية من خلال تطبيق المعادل الموضوعي والكشف عن الجوانب النفسية العميقة للشعراء بطريقة غير مباشرة .

وختمنا هذه الدراسة بخاتمة لخصنا فيها أهم النتائج و الملاحظات التي توصلنا إليه.

الكلمات المفتاحية:

الطبيعة، المعادل الموضوعي ، الشعر الأندلسي.

Résumé

L’étude entre nos mains qui contient le sujet : Nature et l’équivalence des poesies Andalouses .

On essaye de détaler les cotés profonds des Tableaux de la poésie Andalouse . L’étude porte ,une introduction ,deux étapes et une conclusion.

On voit que l’introduction et l’étude de ce sujet ont une grande importance Géographique et aussi un

environnement naturel et industruel , c’est comme

La déscription des poetes Andalouses à leurs artistes .

On découvre dans la premiére étape les racines poétiques naturelles et Comment les tableaux de la nature s’explosent

dans le milieu culturel .

La valeur poétique de ce sujet a une grande importance chez ILiont ,et chez Les critiqueurs Europiens et les Arabes.

La deuxieme étape est une étape d’application ou on a cité le sujet vital naturel , discret et les sujets industruels ; et ce après l’application objéctive Qui a détallé les cotés

psychiques profonds des poetes et leur méthode indirécte.

On est abouti à la fin de cette étude et on a conclu les importantes obsérvations .

Bonne chance et mérci infiniment

Mots clefs :

- **poésie Andalouse**
- **l’équivalence des sujets**
- **la nature**